الجرأة على التفسير بغير علم خطورتها وأثرها في ظهور التفسيرات الباطلة

د / أيمن حسن رجب عبد الغني
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين بالمنوفية

الجرأة على التفسير بغير علم خطورتها وأثرها في ظهور التفسيرات الباطلة

أيمن حسن رجب عبد الغني
قسم التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين بالمنوفية
البريد الإلكتروني : Drayman١٩٧٤@gmail.com

الملخص :
فإنه لما كان علم التفسير من أجل علوم الشريعة وأرفعها قدرًا كان القول فيه بغير علم والخوض فيه والجرأة عليه ممن ليس أهلاً له آفة كبيرة وخطر جسيم بل هو من أخطر القضايا التي فشت في زماننا هذا.
وكم يحز في النفس حين نرى كثيرًا من الناس يجترءون على تفسير القرآن العظيم بغير علم ولا يحسبون لذلك حسابًا فلا تتلكأ ألأسنتهم ولا توجل قلوبهم وكأنهم قد أحاطوا بالقرآن علمًا بل العجب أن يجترئ على كلام الله كل من هب ودب ونسي هؤلاء أو تناسوا أن تفسير القرآن الكريم ليس حمىً مستباحًا لكل أحد دون شرط أو قيد مع إقرارنا أن تلاو ةالقرآن وتدبره حق واجب على الجميع، لكن تفسيره ليس حقًا لكل إنسان مثل أي علم آخر... ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث "الجرأة على التفسير بغير علم خطورتها وأثرها في ظهور التفسيرات الباطلة".
فإن أي تفسير لكلام الله تعالى ممن ليس أهلاً للتفسير تقوُّلٌ وافتراء على الله بغير علم قال تعالى: ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة من الآية: ١٦٩).
ويترتب على تلك الجرأة في القول على الله بغير علم انتشار التفسيرات المنحرفة والباطلة من أصحاب الأهواء والبدع... وقد رغبت في الكتابة في هذا الموضوع للتأكيد على حرمة تفسير كتاب الله تعالى بمجرد الرأي والهوى دون إلمام بقواعد التفسير وأصوله وقسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

الكلمات المفتاحية : الجرأة – التفسير – خطورتها – ظهور – الباطلة

Daring to explain without knowing its danger and its effect on the emergence of false explanations

Ayman Hassan Ragab Abdul-Ghani

Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion, Menoufia

Email : Drayman١٩٧٤@gmail.com

Abstract :

Because when the science of exegesis was for the sake of the sciences of Sharia and the highest degree of it, the saying about it without knowledge and delving into it and daring to it from those who are not worthy has a great blight and a grave danger, but rather is one of the most dangerous issues that have spread in our time.

How sad it is for the soul when we see many people dare to interpret the great Qur'an without knowledge and do not take account for that, so that their tongues do not stagnate or their hearts turn as if they have surrounded the Qur'an with knowledge, but it is astonishing that everyone who gives and bear the word of God bolds And they forgot or forgot that the interpretation of the Noble Qur'an is not a fever that is permissible for everyone without conditions or restrictions, with our acknowledgment that reciting and contemplating the Qur'an is a right and a duty for everyone, but interpreting it is not a right for every person like any other science ... Hence the importance of this research. Interpretation without knowledge of its seriousness and its impact on the emergence of false interpretations.

Key Words: Audacity - Interpretation - Its Seriousness - Emergence - Falsehood

المقدمة -

الحمد لله الذي أنزل إلينا كتابه العظيم رحمة وذكرى، وهدى وبشرى، فأنار به السبيل، وأقام به الحجة، وفرق به بين الحق والباطل ورفع به من شاء من عباده وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً.

والصلاة والسلام على إمام المتقين وأسوة المؤمنين نبينا الأمين، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

أما بعد:

فإن قيمة أي علم وأهميته إنما تقاس بأهمية المعلوم، والغرض من تعلمه وبمقدار حاجة العباد إلى ذلك العلم وضرورتهم إليه، ومن ثمّ كان علم تفسير القرآن الكريم من أجل علوم الشريعة وأرفعها قدرًا، إذ هو أشرف العلوم موضوعًا وغرضًا وحاجة إليه كما قال ابن الجوزي- رحمه الله- (ت ٥٩٧هـ): "لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم، لأن شرف العلم بشرف المعلوم"(١) ولا عجب فإن موضوع علم التفسير كلام الله تعالى الذي ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة والغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية وبمعرفة المنهج من الراحة والطمأنينة والرفعة والبركة والطهارة كما يعلم أيضًا منهج الشيطان وهو: كل منهج خالف منهج الله تعالى الذي أودعه في كتابه وبين لعباده أنه سبيل النجاة في الدنيا والآخرة

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٣/١) ط المكتب الإسلامي

بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[1] هذا ولما كان علم التفسير بتلك المنزلة العظيمة والمكانة السامية كان القول فيه بغير علم والخوض فيه والجرأة عليه ممن ليس أهلاً له آفة كبيرة وخطر جسيم بل هو من أخطر القضايا التي فشت في زماننا هذا.

وكم يحز في النفس حين نرى كثيرًا من الناس يجترئون على تفسير القرآن العظيم بغير علم ولا يحسبون لذلك حسابًا فلا تتلكأ ألسنتهم ولا تَوْجَفُ قلوبهم وكأنهم قد أحاطوا بالقرآن علمًا، وأصبح من مداركهم القريبة ومن معارفهم الدانية بل العجب أن يجترئ على كلام الله تعالى كل من هبَّ ودبَّ ونسي هؤلاء أو تناسوا أن تفسير القرآن الكريم ليس حمىً مستباحًا لكل أحد دون شرط أو قيد مع إقرارنا أن تلاوة القرآن وتدبره حق واجب على الجميع لكن تفسيره ليس حقًا لكل إنسان مثل أي علم آخر فالهندسة مثلاً حق لكل إنسان أن يدرسها لكن لا يزاول تلك المهنة ويقوم بعمل تصميمات أو رسوم هندسية إلا مَنْ درس علم الهندسة وبرع فيه، وكذا علم الطب حق لكل إنسان أن يدرسه لكنّ علاج الناس لا يقوم به ويزاول تلك المهنة إلا مَّنْ درس علم الطب وحذق فيه، فما بال الناس يقيمون الدنيا ويصرخون في وجوه أدعياء الهندسة أو الطب أو أي مهنة ويقومون بزجرهم ونهرهم ولا ينهرون المجترئين على تفسير القرآن الكريم وهم ليسوا من أهل التفسير مع أن القرآن هو كلام الله تعالى وأي تحريف فهو تقوّلٌ وافتراءٌ على الله – عز وجل– بغير علم. قال تعالى:﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[2].

هذا، ونتيجة لتلك الجرأة في القول على الله بغير علم والخوض في التفسير ممن ليسوا من أهله وهم أصحاب الأهواء والبدع والمعتقدات الزائفة

(١) سورة طه الآيات:(طه: ١٢٣ – ١٢٦).

(٢) سورة البقرة الآية(١٦٩).

فقد ترتب على ذلك انتشار التفسيرات المنحرفة والباطلة للقرآن الكريم خاصة في عصرنا هذا وقد ساعد على الترويج لها ثورة التقنيات الحديثة ووسائل الاتصالات المتعددة في وقتنا هذا، ويضاف إلى ذلك انتشار مصطلحات يفهمها البعض فهمًا خاطئًا كحرية الرأي والتعبير لجميع الناس ولا سيما غير المختصين في علوم الشريعة الذين يتجرءون على الكتابة في التفسير مع عدم أهليتهم وإلمامهم بأدوات وضوابط التفسير لجهلهم أو استخفافهم بها مما أسفر عن ظهور تلك الاستنباطات الباطلة، والتفسيرات المنحرفة والأقوال المضطربة في المنهج والمليئة بالأخطاء العلمية والمنهجية.

ومن هنا وبعد تلك المقدمة المهمة التي بينت أهمية هذا الموضوع فقد رغبت في الكتابة فيه، وجمع شتاته في هذا البحث واخترت له هذا العنوان:

"الجرأة على التفسير بغير علم، خطورتها وأثرها في ظهور التفسيرات الباطلة"

أهداف البحث:

(١) التأكيد على حرمة تفسير كتاباالله تعالى بمجرد الرأي والهوى دون معرفة بقواعد التفسير وأصوله.

(٢) الإسهام في ضبط المسار المنهجي الصحيح للكتابة في تفسير القرآن الكريم.

(٣) بيان أن السبب الأساسي لظهور تلك التفسيرات المنحرفة للقرآن الكريم في هذا العصر: هو الجرأة على القول في التفسير بغير علم.

(٤) بيان مدى تورع السلف – رحمهم الله- عن التفسير وتحرجهم من ذلك خوفًا من الزلل أو الخطأ.

وجاءت خطة البحث على النحو التالي:

مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة، فبينت فيها أهمية الموضوع وخطة البحث.

التمهيد: يشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المراد بالتفسيرات الباطلة مع ذكر طائفة من أقاويل المتجرئين على التفسير في عصرنا ونقدها.

المطلب الثاني: تعظيم السلف للقول في التفسير وتورعهم عن القول فيه بغير علم.

المبحث الأول: أسباب ظهور التفسيرات الباطلة والمنحرفة للقرآن الكريم.

يشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الجرأة على القول في التفسير بغير علم والتغافل عن الوعيد المترتب على ذلك.

المطلب الثاني: تفسير آيات القرآن الكريم وفق المعتقدات الباطلة من أهل البدع والأهواء.

المطلب الثالث: الخطأ في فهم معنى القرآن اتباعًا للأهواء الباطلة.

المطلب الرابع: تقديم العقل على النقل.

المبحث الثاني: التفسيرات الباطلة والمنحرفة للقرآن الكريم أثر سيئ للقول في التفسير بغير علم.

المبحث الثالث: السبل الوقائية لدفع ظاهرة الجرأة على التفسير بغير علم.

يشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: رفع منزلة تفسير القرآن الكريم والهيبة من الإقدام على بيان معانيه بغير علم.

المطلب الثاني: الوقوف على الشروط التي يجب توفرها في المفسر وأصحاب القراءات الجديدة للقرآن الكريم.

الخاتمة: فيها أهم النتائج وثمرة البحث– أهم المراجع والمصادر.

هذ، وقد حرصت على إعطاء كل جزئية في هذا البحث حقها في الدراسة وكان هدفي الإسهام في ضبط المسار المنهجي الصحيح للكتابة في تفسير القرآن الكريم مع بيان الوعيد الشديد لمن يتجرءون على القول في التفسير بغير علم وإثبات أن كثيرًا من التفسيرات الشاذة والمضطربة والمنحرفة للقرآن الكريم سببها الخوض في كتاب الله تعالى بغير علم.

والفضل لله تعالى وحده في كل صواب تضمنه هذا البحث، وأما القصور فينسب إليّ وحدي وحسبي حسن القصد، والكمال له سبحانه وحده- وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

دكتور

أيمن حسن رجب عبد الغني

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن – كلية أصول الدين بالمنوفية

التمهيد

المطلب الأول

المراد بالتفسيرات الباطلة مع ذكر طائفة من أقاويل المتجرئين على التفسير في عصرنا ونقدها

بدايةً لا بد أن نقف على المقصود من التفسيرات الباطلة والمنحرفة المعاصرة بإيجاز، فنقول – وبالله التوفيق–: كلمة التفسيرات جمع واحدها التفسير وهو في اللغة: الإيضاح والبيان والكشف عن المغطى(١).

وفي الاصطلاح له تعريفات كثيرة أوضحها: علم يُفْهَمُ به كتاب الله تعالى المنزَّل على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم– وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه(٢).

والتفسيرات –الباطلة– المعاصرة للقرآن الكريم مصطلح حادث وقد عرفها بعض الباحثين بقوله: "استخدام النظريات الحديثة في تأويل القرآن الكريم"(٣)، ويطلق عليها أيضًا: القراءات الجديدة والحداثية والعصرانية(٤).

ووصفت بأنها معاصرة تمهيدًا لأن يكون في كل عصر قراءة جديدة للقرآن الكريم والمعاصرة: نسبة إلى العصر والمراد به: الزمن الحاضر.

ونقول: إن جُلَّ هذه التفسيرات المنحرفة في أي عصر إنما تقوم على مجرد الرأي والهوى ومخالفة ما ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم– والصحابة والتابعي، والانحراف عن أصول التفسير وقواعده وضوابطه

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٣٤١٢/٦) تحقيق/ عبد الله على الكبير وزملائه. ط دار المعارف– وأيضًا: معجم مقاييس اللغة (٣٥٥/٢) لابن فارس، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٧٤/٢) ط، الثانية، ١٣٤٣هـ، المطبعة الأزهرية بمصر، والطبعة الثالثة، ١٣٧٠هـ، مصطفى البابي الحلبي.

(٣) القراءات المعاصرة للقرآن الكريم لمحمد كالو(٥٦) طالأولى، ١٤٣٠هـ دار اليمان. سوريا.

(٤) نظرات في القراءة المعاصرة للقرآن في دول المغرب لمحمد زين العابدين ص٢، بحث بجامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب، شعبة الدراسات الإسلامية بالمغرب.

الصحيحة إلى تفسيره بما يوافق للمناهج والنظريات الغربيـــة والمعاصـــرة والتي تسمى بالتفسيرات الجديدة وهي مخالفة تمامًا لأصول التفسير ومناهجه الصحيحة.

هذا، وإن المتتبع لتلك التفسيرات – المنحرفة– المعاصرة والمـــتمعن في حال أصحابها يدرك أنهم على طوائف وأصناف شتى فمنهم الجاهل الذي لا يمتلك أدوات التفسير واصوله وظن أنه يمكنه تفسير القرآن الكريم فحمل بعض آياته على ما ظهر له من آراء وقراءات حادثة، ومنهم أصحاب الهوى والمعتقدات الزائفة الذين انحرفوا في أفكارهم وعقائدهم، ومنهم المرتد الذي يجد تبرير ضلاله في تلك القراءات ومنهم المبهور المتأثر ببريق شـــبهات المستشرقين وأذنابهم، ومنهم صاحب الهوى الضـــال والفكـــر المنحـــرف، والبغض الدفين للكتاب والسنة الذين يرون أن القرآن الكريم لـــيس لآياتـــه قداسة، ولا لأحكامه ثبات، ولا لبيان السنة وأقوال السلف قيمة[1].

وسأذكر طائفة من آراء بعضهم وأقوالهم الفاسدة المبنية على أصـــول باطلة ومناهج منحرفة.

(أ) فقد جاء عن رجل التعليم الهندي سيد أحمد خان[2].

– وهو من العقلانيين الذين فسروا الإسلام تفســـيرًا عقليًـــا وحرفـــوا مـــن نصوص القرآن والحديث ما يعارض العقل حيث ثبت عنه قوله في ذلك: "... وفي ضوء الظروف الجديدة، وتوسع المعرفة الإنســـانية لا يمكـــن الاعتماد في فهم القرآن على التفاسير القديمة وحدها التي اشتملت علـــى

(١) ينظر ذلك بالتفصيل في: أسباب الخطأ في التفسير لطاهر يعقوب (٧٨٦/٢) وما بعدها ط دار ابن الجوزي. الدمام، ط الأولى، ١٤٢٥هـــ.

(٢) سيد أحمد خان رجل تعليم هندي، مؤسس جامعة على حراه الإسلامية ألفَّ تفسيرًا للقرآن ملأه تأويلاً وتحريفًا شأن الإسماعيلية من الشيعة حيث نفى الجنة والنار وعذاب القبر والمعجزات... ولد(١٨١٧) وتوفي في الهند (١٨٩٨)... انظر في ذلك: مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديونبد (الهند) رمضان – شوال ١٤٣٧هـــ –يونيو – أغسطس ٢٠١٦م، العدد (٩–١٠) السنة(٤٠).

كثير من الخرافات ولكن ينبغي الاعتماد على نص القرآن وحده الذي هو بحق كلمة الله، ومن خلال معرفتنا وتجاربنا الذاتية يمكن لنا أن نفسر القرآن تفسيرًا عصريًا..." (١). فهذا كلام خطير جدًا فيه اجتراء على سلف الأمة من المفسرين الأعلام وفيه تطاول على تفاسيرهم العظيمة وتراثهم القيم الذي لا يبارى.

- بل قال أحمد زكي بن محمد بن مصطفى أبو شادي (١٨٩٢-١٩٥٥): "من الحقائق التي يجب التسليم بها أن القرآن الشريف يجب أن يعاد النظر في فهم تعاليمه وتطبيقها من عصر إلى عصر بل من جيل إلى جيل وعلى هذا لا بد من ظهور تفاسير جديدة متمشية مع روح العصر وتقدم العلم يؤلفها المطلعون الواعون من الأحرار المفكرين"(٢).

ومن ذلك أيضًا ما ذكره المفكر والباحث الأكاديمي والمؤرخ الجزائري محمد أركون(٣): "إن القرآن ليس إلا نصًا من جملة نصوص أخرى، تحتوي على نفس مستوى التعقيد والمعاني الفوَّارة الغزيرة: كالتوراة والإنجيل والنصوص المؤسسة للبوذية أو الهندوسية، وكل نص تأسيسي من هذه النصوص الكبرى حَظِيَ بتوسعات تاريخية معينة وقد يحظى بتوسعات أخرى في المستقبل"(٤).

---

(١) ينظر: مفهوم تجديد الدين لبسطامي محمد سعيد ص(١٢٣)، دار الدعوة – الكويت، ط، الأولى ١٤٢٥هـ.

(٢) الاتجاهات العقلانية الحديثة لناصر العقل، ص(١٦٨)، ط دار الفضيلة الرياض، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

(٣) محمد أركون (١٩٢٨-٢٠١٠) مفكر ومؤرخ جزائري له مشروع فلسفي يندرج تحت عنوان: (نقد العقل الإسلامي) صاحب كتاب قراءات في القرآن وهدفه: إعادة دراسة القرآن على ضوء العلوم الإنسانية ويتصور أنه لا يوجد على وجه الأرض نص صحيح للقرآن..." ينظر في ذلك: مجلة الراصد- سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشئون الفرق من منظور أهل السنة- العدد (٨٩) ذو القعدة ١٤٣١هـ- فرق ومذاهب.

(٤)ينظر: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل لمحمد أركون (٣٦) ق هاشم صالح- دار الساقي للنشر، ط٤.

ويقول نصر حامد أبو زيد[١]: "إن دراسة النص من حيث كونه نصًا لغويًا، أي من حيث بنائه وتركيبه ودلالته وعلاقته بالنصوص الأخرى في ثقافة معينة دراسة لا انتماء لها إلا لمجال الدراسات الأدبية في الوعي المعاصر..." [٢].

بل تجرأ بما هو أفظع من ذلك صراحة فنفى قداسة وهيبة القرآن الكريم وأنه كغيره من سائر النصوص يخضع للنقد الأدبي حيث قال: "إن النص القرآني وإن كان نصًا مقدسًا إلا أنه لا يخرج عن كونه نصًا فلذلك يجب أن يخضع لقواعد النقد الأدبي لغيره من النصوص الأدبية"[٣].

- ومن المفكرين العقلانيين الذين حرفوا في فهمهم للقرآن وفرطوا في قداسة النص القرآني محمد عابد الجابري[٤] المغربي حيث قال: "فهم القرآن مهمة مطروحة في كل وقت ومطلوبة في كل زمان وقد يكفى التذكير بأن اقتناعنا بأن القرآن يخاطب أهل كل زمان ومكان يفرض علينا اكتساب فهم متجدد للقرآن بتجدد الأحوال في كل عصر"[٥]... فهؤلاء وأمثالهم[٦] في كل عصر إنما يجترءون على كتاب الله تعالى ويلحدون في آياته حتى تولد عن ذلك تفسيرات باطلة ومنحرفة.

---

(١) نصر حامد أبو زيد (١٩٤٣- ٢٠١٠) أكاديمي مصري باحث في الدراسات الإسلامية معروف بكتاباته في الفكر الإسلامي والديني ومعارضة سلطة النص المطلقة وأثار جدلاً واسعًا بكتاباته.

(٢) ينظر: مفهوم النص لنصر أبو زيد (١٨) المركز الثقافي العربي، بيروت، ط السابعة ٢٠٠٨م.

(٣)المصدر السابق(٢٤).

(٤)محمد عابد الجابري المغربي(١٩٣٥-٢٠١٠م) مفكر مغربي وفيلسوف يدعو إلى نقد العقل العربي ومن أقواله: من دون عقل جديد لا يمكن أن يقوم اجتهاد جديد ... إلخ ذلك).

(٥) ينظر: فهم القرآن الحكيم امحمد عابد الجابري ص(٦) ط، مركز دراسات الوحدة العربية.

(٦) ومن هؤلاء أيضًا: د/ طه حسين(١٨٨٩-١٩٧٣) أديب ناقد ولقب بعميد الأدب العربي ولا تزال أفكاره تثير الجدل حتى اليوم...، ومن تلك الأفكار ما ذكره في قوله: "ليس القرآن إلا كتابًا ككل الكتب الخاضعة للنقد، فيجب أن يجري عليه ما يجري عليها، والعلم يحتم عليكم أن تصرفوا النظر عن قداسته التي تتصورونها، وأن تعتبروه كتابًا عاديًا فتقولوا فيه كلمتكم ويجب أن يختص كل واحد منكم بنقد شيء من هذا الكتاب ويبين ما يأخذه عليه من الوجهات اللفظية والمعنوية والفكرية". ينظر: مجلة الفتح الإسلامية لمحب الدين الخطيب العدد (٦)، ص(٦٤٦).

– بل هي في غاية التناقض والغرابة لنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع الأمة.

هذا، ولقد أجاد ووفق شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في الرد على هؤلاء واشباههم بقوله: "استجهال السابقين الأولين، واستتبلاههم واعتقاد أنهم كانوا قومًا أميين بمنزلة الصالحين من العامة. لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله، هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة بل في غاية الضلالة. كيف يكون هؤلاء المتأخرون أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى، ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة مابرزوا به على سائر أتباع الأنبياء فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمةُ غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة؟ كيف يكون خير قرون الأمة أنقصَ في العلم والحكمة– لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته– من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضُلَّال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم: أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟"(١).

(١) ينظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/٥) بإيجاز – ترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم – دار عالم الكتب ١٤١٢هـ.

المطلب الثاني

"تعظيم السلف للقول في التفسير وتورعهم عن القول فيه بغير علم"

لقد عظَّمَ السلف – رحمهم الله – أمر التفسير والخوض فيه بغير علم وتورعوا عن ذلك خشية الوقوعفي الخطأ والتحريف في كلام الله تعالى أو حمل كلامه على غير المراد منه والوقوع في التفسيرات الباطلة، والأدلة على هيبتهم من الإقدام على التفسير بغير علم أو بينة كثيرة منها:

(أ) ما روي عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – أنه سئل عن معنى آية من كتاب الله فقال: أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم"[1]. بل كان يتحرج الصديق– رضي الله عنه – ويتخوف من عدم الوصول إلى الحق والصواب فيحمله ذلك على عدم القطع بمراده سبحانه وتعالى في الآية فقد تردد في بيان المراد من لفظ الكلالة الوارد في سورة النساء فروي غنه قوله:" إني قد رأيت في الكلالة رأيًا، فإن كان صوابًا فمن الله وحده لا شريك له وإن يك خطأ فمني والشيطان والله منه برئ وإن الكلالة ما خلا الولد والوالد"[2]. فلم يجزم الصديق بمعنى الكلالة هنا خوفًا وتورعًا من أن يتخذ إمامًا في التفسير يقتديبه الناس.

(ب) وثبت عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– شدة ورعه وخوفه من القول في تفسير كتاب الله دون علم أو بينة تجزم بمراداالله تعالى فقد ورد عنه أنه خطب يوم الجمعة في آخر حياته فكان مما قال: ثم إني لا أدَعُ بعدي شيئًا أهم عندي من الكلالة، ما راجعت رسول الله – صلى الله

---

(١) هذا الأثر ذكره شيخ المفسرين الطبري في تفسيره المسمى "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" (٧٨/١) تحقيق/ عبد الله التركي. دار هجر. القاهرة ط، الأولى ١٤٢٢هـ– وذكره أبو عبيد في فضائل القرآن ص(٢٢٧)، تحقيق/ وهبي غلوجي. دار الكتب العلمية. بيروت، طالأولى ١٤٢٦هـ.

(٢) أورده الطبري في تفسيره"جامع البيان عن تأويل آي القرآن" (٤٧٥/٦).

عليه وسلم- في شيء ماراجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن باصبعه في صدري فقال: "يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء"(١).

بل ثبت عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- أيضًا: أنه قرأ على المنبر يومًا: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ (٢) فقال قد عرفنا ما الفاكهة، فما الأبُّ؟ فقال: لعمرك يا ابن الخطاب، إن هذا لهو التكلف"(٣).

(ج) وورد عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن الحلال والحرام تكلم، وإذا سئل عن تفسير آية من كتاب الله سكت كأن لم يسمع شيئًا"(٤) وفي رواية أنه كان يقول: "لا أقول في القرآن شيئًا"(٥).

(د) وقال عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه-: "لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع"(٦)- بل قال إبراهيم النخعي: "كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه"(٧).

هذا، ومما يدل على أن إحجام هؤلاء عن التفسير إنما كان من قبيل الورع والخشية لله وخوفًا من عدم الوصول إلى ما كلفوا به من إصابة الحق فقد كانوا يعظمون القول في التفسير بغير علم ويعتبرون التفسير شهادة م

---

(١) الحديث في صحيح مسلم ك الفرائض – باب ميراث الكلالة(١٩٦/١)- حديث (١٩٦/١)، حديث(٥٦٧) تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي- المطبعة الإسلامية – استانبول.

(٢) سورة عبس آية (٣١).

(٣) ذكره الطبري في تفسيره(١٢٠/٢٤) وذكره أبو عبيد في فضائل القرآن(٢٢٧).

(٤) تفسير الطبري(٨٠/١)

(٥) ذكره أبو عبيد في فضائل القرآن ص(٣٧٥) والطبري في تفسيره (٧٩/١).

(٦) أورده الطبري في تفسيره (٧٩/١).

(٧) يقصد بقوله: أصحابنا: أصحاب عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه- وذكره أبو عبيد في فضائل القرآن ص(٢٢٩).

نالمفسر على أن الله أراد من هذا اللفظ هذا المعنى الذي أتى به فكانوا يخشون عدم موافقتهم لمراد الله تعالى وكان بعضهم يخشى أن يتخذ إمامًا في التفسير يقتدي به الناس ويقتفون أثره فحملهم الورع على ذلك- أي أن إحجامهم عن القول في التفسير لم يكن سببه الجهل به بل كان من قبيل الورع والتعظيم لأمر التفسير بدليل قول عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه-: "والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"(١).

ويقول علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- وهو على المنبر:" سلوني فو الله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل أم بنهار، أم في سهل أم في جبل"(٢).

ونريد أن ننبه أن النصوص التي وردت في تحرج السلف عن القول في التفسير محمولة على القول فيه بغير علم وأما مَنْ تكلم في التفسير بما يعلم من ذلك فلا حرج عليه أي أنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه وهذا ه والواجب على كل أحد فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلم لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ (٣) ولحديث: "من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار"(٤).

---

(١) صحيح البخاري- باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم(١٠٢/٦) المكتبة الإسلامية. استانبول تركيا١٩٧٩م.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي(١٨٧/٢).

(٣) سورة آل عمران الآية(١٨٧)

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند(١٧/١٣) ح (٧٥٧١) ط، مؤسسة الرسالة ق شعيب الأرناؤوطوأبو داود (٦٧/٤) ح(٣٦٥٨)، وضعفه البوصيري في زوائد ابن ماجة ص(٦٩)، مكتبة دار الباز- مكة ط، الأولى ١٤١٤هـ- وصححه الألباني في صحيح الترغيب ص(٥٢) ط، المكتب الإسلامي١٤٠٦هـ.

المبحث الأول

"أسباب ظهور التفسيرات الباطلة والمنحرفة للقرآن الكريم"

المطلب الأول

"الجرأة على القول في التفسير بغير علم والتغافل عن الوعيد المترتب على ذلك"

بدايةً يجب أن نعلم أن العلماء قد سلكوا منهجين أساسين لتحصيل معاني القرآن وتفسيره وهما: التفسير بالمأثور- والتفسير بالرأي.. والتفسير بالمأثور هو أفضل أنواع التفسير وأعلاها لأن التفسير بالمأثور إمَّا أن يكون تفسيرًا للقرآن بكلام الله تعالى فهو سبحانه أعلم بمراده وإمَّا أن يكون تفسيرًا للقرآن بكلام الرسول – صلى الله عليه وسلم- فهو المُبَيِّنُ لكلام الله تعالى، وإمَّا أن يكون بأقوال الصحابة فهم الذين شاهدوا التنزيل وهم أهل اللسان وتميزوا عن غيرهم بما شاهدوه من القرائن والأحوال والملابسات حين النزول، واختلف العلماء – رحمهم الله تعالى- في الرجوع إلى أقوال التابعين إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة النبوية ولا في أقوال الصحابة فمنهم مَنْ عدَّ أقوال التابعين مصدرًا من مصادر التفسير بالمأثور ومنهم مَنْ عدَّها كسائر أقوال العلماء... وعليه فالتفسير بالمأثور هو الذي يعتمد على صحيح المنقول ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل. ويتوقف عما لا طائل تحته ولا فائدة في معرفته(١).

وأما التفسير بالرأي فهو تفسير القرآن بالاجتهاد فإن كان هذا التفسير مبنيًا على أدوات الاجتهاد الصحيحة كاللغة العربية، والسياق، ومعرفة سبب النزول، والتجرد عن الهوى، وسلامة العقيدة، ومعرفة أصول التفسير والحديث رواية ودراية ومعرفة أصول الدين وأصول الفقه... (٢) فمَنْ ملك

(١) راجع في ذلك: مناهل العرفان للزرقاني (٤٩٢/١-٤٩٣) بتصرف ط، دار إحياء

(٢) دراسات في علو مالقرآن (١٨٤-١٨٥) د/ فهد الرومي. بتصرف. ط، ١٩ سنة ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض.

تلك الأدوات وكان أهلاً لتفسير القرآن الكريم فاجتهد في تفسيره بناء على ذلك كان تفسيره مقبولاً ومحمودًا.

أما إذا كان تفسيره مبنيًا على مجرد الرأي والهوى أو مخالفًا لما ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم– والصحابة والتابعين، او مخالفًا للقواعد والأصول الشرعية أو صادرًا عمن لا يملك أدوات الاجتهاد في التفسير لجهل أو قصور كما هو حاصل في كثير من التفسيرات المنحرفة المعاصرة للقرآن الكريم فهو محرم ومذموم لأن تفسير هؤلاء قائم على مجرد الرأي والهوى والقول في كتاب الله تعالى دون علم، وأكثر الذين فسروا القرآن بمجرد الرأي والهوى هم أصحاب البدع والأهواء الذين اعتقدوا معتقدات باطلة ليس لها سند ولا دليل ففسروا آيات القرآن بما يوافق آراءهم ومعتقداتهم الباطلة والزائفة وحملوها على ذلك بمجرد الرأي والهوى.

وهذه الجرأة على القول في التفسير بغير علم نهى الله تعالى عنها ورتب الوعيد الشديد على مَنْ اجترأ على ذلك فهي من التفسير المحرم الذي لا يجوز قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : "فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام"[1] وقد دلت على ذلك النصوص الكثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وأقوال الصحابة والتابعين.

ومن ذلك:

(أ) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ ﴾ [2]

(١)مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص(١٠٥) تحقيقد/ عدنان زرزور، ط، دارالقرآن الكريم– الكويت ط، الأولى ١٣٩١هـ.

(٢) سورة البقرة الآيتان(١٦٨-١٦٩).

فقد ورد في تفسيرها: "... ومن أعظم القول على الله بلا علم، أن يتأول المتأول كلامه، أو كلام رسوله –صلى الله عليه وسلم– على معاني اصطلح عليها طائفة من طوائف الضلال ثم يقول: إن الله أرادها، فالقول على الله بلا علم من أكبر المحرمات وأشملها، وأكبر طرق الشيطان التي يدعو إليها فهذه طرق الشيطان التي يدعو إليها هو وجنوده ويبذلون مكرهم وخداعهم على إغواء الخلق بما يقدرون عليه، وأما الله عز وجل فإنه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فلينظر العبد نفسه مع أي الداعين، ومن أي الحزبين؟"(١).

(ب) وقوله تعالى﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٢)

يقول ابن القيم – رحمه الله–: "وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش ثم ثنى بما هو أشد تحريمًا منه وهو الإثم والظلم ثم ثلث بما هو أعظم منهما وهو الشرك به سبحانه ثم ربَّع بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه – صلى الله عليه وسلم – بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه"(٣).

(ج) ومما يدل على تحريم القول في التفسير بغير علم أيضًا قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (٤)

(١)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي ص(٦٣) ط، مؤسسة الرسالة.

(٢) سورة الأعراف الآية: (٣٣).

(٣)إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين لابن القيم (٣٨/١) ط، دار الجيل– بيروت.

(٤) سورة الإسراء الآية (٣٦).

والنهي في هذه الآية المباركة يشمل كل قول بلا علم[١].

(د) ومن الأحاديث التي وردت في الوعيد والترهيب من الخوض في التفسير بغير علم حديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– :" مَنْ قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار"[٢]. وأيضًا حديث: "مَنْ قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"[٣].

هذا، وقد علق الإمام ابن عطية وعقب على ذلك بقوله: "ومعنى هنا أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتسوَّر عليه برأيه، دون نظر فيما قال العلماء، أو اقتضته قوانين العلوم قوانين العلوم كالنحو والأصول، وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته، والنحاة نحوه، والفقهاء معانيه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر، فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه، وكان جُلَّة من السلف كسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعًا واحتياطًا لأنفسهم مع إدراكهم، وتقدمهم، وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه وهم أبقوا على المسلمين في ذلك – رضي الله عنهم–"[٤].

---

(١) ينظر: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطي (١٤٥/٣)، ط الأولى ١٤٢٦هـ– دار عالم الفوائد. مكة.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٦٩/١) ط، دار الفكر، بيروت – والترمذي في سننه (١٨٣/٥) أبواب التفسير، وقال: حديث حسن صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما. سنن الترمذي ح٢٩٥٠. ينظر: الجامع الصحيح سنن الترمذي تحقيق أ/ أحمد شاكر توزيع دار الباز. مكة.

(٣)الحديث أخرجه أو داود في سننه (٦٤/٤) ح ٣٦٥٢ تعليق/ عزت الدعاس ط دار الحديث. ط الأولى ١٣٨٩هـ – والترمذي (١٨٣/٥) ح ٢٩٥٢ وقال: هذا حديث غريب وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٣٦٠/١) ط المكتب الإسلامي. بيروت المؤلف الألباني.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٢٢/١) تحقيق/ عبد الله الأنصاري وزملائه– ط وزارة الأوقاف. قطر، ط الثانية ١٤٢٨هـ.

(هـ) وقد أكد على حرمة القول في التفسير بغير علم، وصرَّح بذلك كثير من الأئمة وأهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– وذلك بقوله: "أما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام... فمن قال في القرآن برأيه فقد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ لأنه لم يأت الأمر من بابه كم حكم بين الناس على جهل فهو في النار وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر لكن يكون أخف جرمًا ممن أخطأ والله أعلم"(١).

ومن الأئمة الذين صرحوا أيضًا بحرمة القول في التفسير بغير علم: الإمام النووي – رحمه الله– بقوله: "ويحرم تفسيره – أي تفسير القرآن الكريم – بغير علم والكلام في معانيه ليس من أهلها والأحاديث في ذلك كثيرة والإجماع منعقد عليه، وأما تفسيره – أي القرآن – للعلماء فجائز حسن، والإجماع منعقد عليه فمن كان أهلاً للتفسير جامعًا للأدوات حتى التي يعرف بها معناه وغلب على ظنه المردُ فسَّره إن كان مما يدرك بالاجتهاد كالمعاني والأحكام الجلية والخفية والعموم والخصوص والإعراب وغير ذلك، وإن كان مما لا يدرك بالاجتهاد كالأمور التي طريقها النقل وتفسير الألفاظ اللغوية فلا يجوز الكلام فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهله وأما من كان ليس من أهله لكونه غير جامع لأدواته فحرام عليه التفسير لكن له أن ينقل التفسير عن المعتمدين من أهله"(٢).

هذا وقد أكد على ذلك أيضًا الإمام الزركشي في برهانه: بقوله – رحمه الله –: "لا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (٩٢-٩٥) بإيجاز.

(٢) التبيان للنووي (٦٥/١) تحقيق أ/ محمد عرقسوسي – مؤسسة الرسالة – ط الأولى ١٤٢٥هـ.

أصل- (أي دليل)... وأما الرأي الذي يسنده برهان فالحكم به في النوازل جائز ... إلخ"[1].

ونضيف إلى ما تقدم من كلام الأئمة – رحمهم الله-: أنه يجب على مَنْ يتصدى لتفسير كلام الله تعالى أن يشعر نفسه حين يُقدم على تفسير القرآن أنه يُوقع عن الله تعالى وأنه مترجم عنه سبحانه وتعالى وكأنه يشهد على مراده سبحانه وتعالى في تلك الآيات وهو يفسرها ويبينها فيجلُّ تلك الشهادة ويعظمها خوفًا من أن يتقوَّل على الله في كتابه بغير علم فيقع فيما حرمه الله ونهى عنه فقد رتب الوعيد الشديد على الجرأة[2] على تفسير القرآن بغير علم – كما أسلفنا- وأن من يفعل ذلك سيتحسر ويندم يوم القيامة، وعليه فإنه يمكن القول بأن المراد بالجرأة على تفسير القرآن بغير علم هنا: عدم الشعور بالهيبة من الإقدام على تفسيره بغير علم والتطاول والتسلط على كتابه تعالى والقول فيه بغير علم من أصحاب البدع والأهواء والعقائد الفاسدة

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٧٨/٢) ق/ مصطفى عبد القادر عطا. ط دار الكتب العلمية – بروت ط الأولى ١٤٠٨هـ.

(٢)الجرأة (اسم) مصدر جَرُؤَ، يقال واجه المعركة بجرأة نادرة: شجاعة وإقدام، ورجل جرئ مقدم – الجرئ: المقدام، واستجرأ وتجرأ وجرَّأه عليه حتى اجترأ عليه جرأة وهو جرئ عند الإقدام على الشيء، وفي الحديث "وقومه جرآء عليه" بوزن علماء جمع جرئ أي متسلطين غير ها ئبين له، ومنه اجترأ الطالب على أستاذه: تطاول عليه أو تسلط عليه غير هائب له... واجترأ عل ىالتفسير تطاول عليه غير هائب أيضًا..." ينظر في ذلك لسان العرب لابن منظور (١٠٩/٣) حرف الجيم (جأ) ط المكتبة الإسلامية – بتصرف.

المطلب الثاني

"تفسير آيات القرآن الكريم وفق المعتقدات الباطلة من أهل البدع والأهواء"

مما لا شك فيه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة وحارب ما كان الناس فيه من جاهلية وضلال وعقائد فاسدة، وتوفي النبي – صلى الله عليه وسلم – والعقيدة السليمة الطاهرة النقية (العقيدة الإسلامية) – هي السائدة بين المسلمين ولم يكن في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم– فرقة بين المسلمين بل كان الإسلام ظاهرًا وأهله غالبون.. إلى أن وقع في الأمة التفرق الذي أشار إليه – صلى الله عليه وسلم – في قوله: "افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"(١).

ولا شك أن الخلاف العقدي مظنة للتعصب أكثر من غيره مما دفع أصحاب المذاهب العقدية الفاسدة إلى توظيف النصوص القرآنية لخدمة المعتقد حتى فسَّر القرآن الكريم من قِبل هؤلاء بأعجب تفسير وتأويل فيه نصرة لعقائدهم الباطلة عن طريق ليّ أعناق الآيات حتى تؤيِّد أصول مذاهبهم وتارة يتأولون ما يخالف مذاهبهم يما يحرفون به الكلم عن مواضعه وهذا واضح في تفاسير الباطنية والرافضة ونحوحهم وصدق الشاطبي (ت٧٩٠) – رحم هالله–: "وكل صاحب مخالفة، فمن شأنه أن يدعو غيره إليه"(٢). ... ومن هنا نقول: إن الانحراف العقدي مؤثر بلا شك في ظهور التفسيرات الباطلة، ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

---

(١)الحديث رواه أبو داود في السنة باب شرح السنة (١٩٧/٤) برقم ٤٥٩٦ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط دار الفكر – والترمذي في سننه باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٥/٥) برقم ٢٦٤٠ وقال حديث حسن صحيح– سنن الترمذي، تحقيق/ كمال يوسف الحوت، ط، دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ.

(٢)كتاب الاعتصام للشاطبي (١٢/١) تعليق/ محمود طعمه حلبي – ط أولى – دار المعرفة سنة ١٤١٨هـ.

(أ) استنبط بعض الشيعة عصمة الأئمة من قوله تعال:"﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾[1] حيث فسروا السلام بالسلامة من العيوب والبراءة من الذنوب وهي العصمة[2].

وهكذا نجد أن هذه العقيدة أدت إلى الانحراف في التفسير بما يوافق عقائد الشيعة الفاسدة[3].

قال القرطبي (ت٦٧١هـ): "وإذاً بطل هذا القول لما ذكرناه فـ (إل ياسين) هو إلياس المذكور وعليه وقع التسليم"[4]. ولا شك أن الانحراف في الاعتقاد هذا قد أثر بوجه بيِّن على تفسير الآية مما أوجد هذا الانحراف في التفسير.

(ب) قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ ﴾[5] حيث استنبط المعتزلة والقدرية من هذه الآية أن الله غير خالق للشر[6]، وفسروا ذلك بأن عدم رضاه يستلزم عدم خلقه عقلاً، – وهذا تحريف في التفسير سببه الانحراف العقدي وقد عقب على ذلك الإمام محمد بن علي القصاب (ت بعد٣٦٠هـ) بقوله: "وليس في زوال عنه – أي الكفر– ما يحيل أن يكون هو خالقه، فقد خلق إبليس وهو رأس الشر – وليس بمرضي عنده، وخلق الدنيا وهي بغيضته يُزَهِّدُ فيها أولياءه، ويُمَنِّعُ فيها أعداءه،

(١) سورة الصافات الآية:(١٣)

(٢) ينظر: منار الهدى في النص على إمامة الأئمة الاثنى عشر لعلي البحراني (٣٥٩-٣٦٠) ق: السيد الخطيب ط أولى ١٩٨٥ نشر دار المنتظر للطباعة والنشر– بيروت – لبنان.

(٣)وجوه بطلان هذا القول ذكرها الإمام القرطبي في تفسيره (١٠٢/١٥) راجعه د محمد الحفناوي وخرج أحاديثه د محمود عثمان ط دار الحديث ط سنة ١٤٢٣هـ

(٤) سورة الزمر الآية (٧).

(٥)المصدر السابق (١٠٢/١٥).

(٦)تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار (٣٦١هـ) ط دار النهضة الحديثة. د.ت.

فما يمنع أن يكون الكفر من خلقه وهو يبغضه ولا يرضاه، ولا يرضى لعباده أن يأخذوا به"[١].

(ج) فسر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) قوله تعالى:﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢ ﴾[٢] بقوله: "إعلام بأنَّ مَنْ يَدْخُل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها"[٣].

ففسر الآية هنا وفق معتقده الاعتزالي بخلود العاصي في النار وإنكار الشفاعة.

وقال السيوطي (ت٩١١هـ) مبيناً ذلك: "استدلَّ ب هالمعتزلة على أن مرتكب الكبائر غير مؤمن لأنه يدخل النار للأخبار الدالة على ذلك، ومَنْ دخل النار يُخزي لهذه الآية، والمؤمن لا يُخزي لقوله: ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ [٤]

فهذا استنباط بدلالة التركيب حيث رُكبت نصوص دخول العصاة للنار مع هذه الآية مع آية التحريم الدالة على أن المؤمن لا يُخزي فاستنبطوا أن العاصي ليس بمؤمن.

وفي هذا التفسير المنحرف بيان تأثير العقيدة حيث أهملت بسببها النصوص الدالة على خروج العصاة من النار وأنهم لا يخلدون فيها.

---

(١)مدارج السالكيم لابن القيم (٢١٤/١) ق محمد المعتصم بالله البغدادي ط دار النفائس ودار الكتاب العربي ١٤١٠هـ.

(٢) سورة آل عمران الآية(١٩٢).

(٣) الكشاف للزمخشري (٦٧٨/١) دار المعرفة – بيروت. والأقوال الشاذة في التفسير للدهش (٢٣١) من إصدارات مجلة الحكمة ط أولى ١٤٢٥هـ دكتور/ عبد الرحمن بن صالح بن سليمان الدهش.

(٤) الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي ص(٥٨) ق/ عبد الله محمد الصديق الغماري مطابع دار الكتاب العربي – المكتبة الوقفية – طبع بنفقة السيد/ أسعد درابزوني الحسيني.

(د) وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[1] ذكر الحاكم الجشمي[2] شيخ الزمخشري أيضًا أن العصاة مخلدون في النار، حيث قال: "إن الفجار العصاة المرتكبين للكبائر في النار، والفجور: اسم للعصيان، ولهذا يقال للزاني فاجر، ومعنى: "يصلونها" أي: يلازمونها للتعذيب...

ثم بين وجه حمل الآيات على معتقده الباطل فقال: "وتدل الآية على قولنا في الوعيد من جهات: أحدها: أنه فصل بي نالبر والفاجر فدلَّ على أن الفجار ليسوا من الأبرار بخلاف المرجئة[3] ومنها: أنه عم جميع الفجار ولم يخص، فلا فاجر إلا ويدخل تحت الآية خلاف قولهم.

ومنها: "لفي جحيم" فلم يثبت لهم مكاناً غيره.

ومنها: قوله: "وما هم عنها بغائبين" فدل على الدوام"[4].

فنلحظ هنا أن الحاكم الجشمي قد حرف في تفسير الآيات ليتوافق مع مذهبه فيستنبط ما يؤيده، والصحيح في المعنى كما عند أهل السنة أن الفجار هنا هم الكفار، وعذاب الكفار دائم في الجحيم فلا تشمل الآية عصاة المؤمنين وهم الذين أراد الحاكم الجشمي شمولهم بالتفسير تقريرًا وتوافقًا مع معتقده وتدليلاً لمذهبه[5].

---

(١)سورة الانفطار الآيات (١٣-١٦).

(٢)هو المحسن بن محمد بن كرامة أبو سعد الجشمي من ناحية بيهق، صنف التصانيف على مذهب العدل وحرر المسائل مات مقتولاً بمكة سنة ٤٩٤هـ وعمره (٨١) سنة من كتبه: تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين والتهذيب وله تفاسير مفقودة. ينظر في ذلك بالتفصيل: الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن د/ عدنان زرزور مؤسسة الرسالة.

(٣)مراده بالمرجئة هنا أهل السنة والجماعة لقولهم بأن مرتكب الكبيرة تحت المشيئة يوم القيامة إن شاء عذبه الله وإن شاء غفر له. ينظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور/ محمد الشايع (١١١) مكتبة العبيكان ط١ سنة ١٤١٦هـ.

(٤)ينظر: الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسيره القرآن د/ عدنان زرزور (١٨٥) مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ط أولى.

(٥) أسباب اختلاف المفسرين (١١١) د محمد الشايع مكتبة العبيكان الرياض ١٤١٦هـ.

المطلب الثالث

"الخطأ في فهم معنى باطن القرآن اتباعًا للأهواء الباطلة"

من المعلوم أن الله عز وجل أنزل القرآن بلسان عربي مبين والأصل في فهم كتابه تعالى هو اللسان العربي قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ [١] وقال مجاهد بن جبر (ت١٠٤هـ) "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب"[٢].

وقال الشافعي (ت٢٠٤هـ) "فإنما الله خاطب بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها"[٣].

وبناء عليه فإن ادعاء معنى لم يصح له وجه في لسان العرب يُعدُّ أمرًا مردودًا في تفسير كتاب الله تعالى.

قال ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ): "وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن من التأويل لا دلالة عليه من نص كتاب، ولا خبر لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– ولا إجماع من الأمة ولا دلالة من بعض هذه الوجوه"[٤].

ومن هنا فلا يجوز حمل آيات القرآن على تأويلات بعيدة لا يحتملها ظاهر النص القرآني، ومما وقع فيه أهل الأهواء والبدع الخطأ في فهم معنى باطن القرآن، وبناء ظواهر النصوص على تأويلات لا تعقل والجزم بأنها المرادة والمقصودة – وأن المعاني الظاهرة غير مراده حيث قالوا: كل ما ورد في الشرع من الظواهر في التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية فهي أمثلة ورموز إلى بواطن"[٥].

---

(١)سورة يوسف الآية (٢).

(٢)البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٩٢/١).

(٣)الرسالة للشافعي (٥١-٥٢) ط دار الكتب العليمة . بيروت. تحرير الأستاذ/ أحمد شاكر.

(٤)تفسير الطبري (٤٤/٥)

(٥)الاعتصام للشاطبي (٢٠٥/١).

وقد ولج كثير من الفرق من هذا البـــاب وفســـروا ذلـــك بتفســـيرات منحرفة باطلة وقالوا: إن للقرآن ظهرًا وبطنًا واعتمدوا على روايات واهيـــة لا تصح طرقها: منها ما روي عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنـــه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "أنزل القـــرآن علـــى ســـبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع"(١).

وما جاء عن عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: "ثلاثة تحت العرش يوم القيامة، القـــرآن يحـــاجُّ العباد له ظهر وبطن، والأمانة والرحم تنادي: ألا من وصـــلني وصـــله الله ومن قطعني قطعه الله"(٢).

وما جاء عن الحسن البصري قال: قال رسول الله – صلى الله عليـــه وسلم–: "ما أنزل الله عز وجل آية إلا لها ظهر وبطن ولكل حرف حد وكل حد مطلع"(٣).

وهذه الأحاديث لا تصح طرقها وإن جوَّز تحسينها بعـــض البـــاحثين بمجموع طرقها(٤) وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـــ)– رحمه الله – عن حديث: "للقرآن باطن وللباطن باطن إلى سبعة أبطـــن" فقـــال: "أمـــا الحديث المذكور فمن الأحاديث المختلفة التي لم يروها أحد من أهل العلم ولا

(١) رواه ابن جرير في تفسيره من طريقين ضعيفين: (١/٣٥-٣٦) قال أحمد شاكر: "هو حديث واحد بإسنادين ضعيفين أما أحدهما فلانقطاعه بجهالة رواية عمن ذكره عن أبي الأحوص، وأما الآخر فمن أجل إبراهيم الهجري رواية عن أبي الأحوص" ورواه الطبراني في المعجم الكبير بلفظ: "لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله وأنزل القرآن على سبعة أحرف ولكل آية منها ظهر وبطن" المعجم الكبير للطبراني (١٠/١٠٥) برقم (١٠١٠٧) ورواه ابن حبان في صحيحه (١/٢٧٦) برقم (٧٥). والبزار في مسنده (٧/١٥٢).

(٢) رواه العقيلي في الضعفاء (٤/٥) وقال لا يصح إسناده.

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (٤٢-٤٣) ط دار الكتب العلمية . بيروت ق وهب غاوجي ط أولى ١٤٢٦هـــ، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/٣٥٨) برقم ٥٩٦٥.

(٤) الأقوال الشاذة للدهش (٣٣) حيث قال بعد ذكر هذه الشواهد: وبعد هذا فقد يرتقي الحديث بهذا السياق إلى أن يكون حسنًا

يوجد في شيء من كتب الحديث ولكن يروي عن الحسن البصري موقوفًا أو مرسلاً أن لكل آية ظهرًا وبطنًا وحدًا ومطلعًا"[١].

وعلى فرض صحة هذه الروايات فقد بين العلماء المعنى الصحيح الذي ينبغي تفسير الحديث به حيث ذكروا في المراد عدة أقوال منها:

أن المراد بالظهر اللفظ وبالبطن المعنى.

أو أن المراد بالظهر ما ظهر تأويله وعرف معناه، وبالبطن ما بطن تفسيره.

أو ان المراد أن قصصه في الظاهر أخبار، وفي الباطن عبر وتنبيه وتحذير وغير ذلك.

أو ان الظهر التلاوة والبطن التفهم والتعظيم[٢].

وقال الطبري –رحمه الله – فظهره : "الظاهر في التلاوة، وبطنه ما بطن من تأويله"[٣].

وقد اشترط الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) لصحة المعنى الباطن شرطين هما: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب ويجري على المقاصد العربية، وأن يكون له شاهد نصًا أو ظاهرًا في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض– وقال في سبب اشتراطه للثاني "فلأنه إن لم يكن له شاهد في محل آخر أو كان له معارض صار من جملة الدعاوى التي تدعى على القرآن، والدعوى المجردة غير مقبولة باتفاق العلماء"[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٢٣١ -٢٣٢).

(٢) ينظر في تلك الأقوال: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/١٦٦) ق محمود الطناحي – المكتبة الإسلامية.

(٣) تفسير الطبري (١/٥٥) وعلق عليه أحمد شاكر بقوله: "الظاهر ما تعرفه العرب من كلامها وما لا يعذر أحد بجهالته من حلال وحرام والباطن هو التفسير الذي يعلمه العلماء بالاستنباط والفقه، ولم يرد الطبري ما تفعله طائفة الصوفية واشباههم في التلعب بكتاب الله وسنة رسوله والعبث بدلالات ألفاظ القرآن وادعائهم أن لألفاظه ظهرًا هو الذي يعلمه علماء المسلمين وباطنًا يعلمه أهلالحقيقة فيما يزعمون" تفسير الطبري بتحقيقه (١/٧٢)حاشية رقم(٢)

(٤)الموافقات للشاطبي (٣/٢٩٥) ط دار المعرفة بيروت.

ومن الأمثلة التي تدل على الخطأ في فهم معنى باطن القرآن من أصحاب الأهواء الباطلة ما يأتي:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ﴾[1] قال بعض الشيعة: "أقول الخنس بمعنى الاختفاء، وتفسير الآية وارد في النجوم التي تختفي بعضها في وقت اختفائها، وتأويلها وارد في الإمام المهدي – عليه السلام– لأنه يختفي حيث يأمره الله بالاختفاء ويظهر – كالشهاب الثاقب– حيث يأمره الله بالظهور"[2].

وبهذا المعنى الباطن للآية يقررون ظهور المهدي المنتظر عندهم، وهو تفسير باطل معتمد على التأويل الباطني للآية.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [3]

فجاء في تفسير أحد الشيعة: "إن للقرآن ظهرًا وبطنًا فأما ما حرم ربي في الكتاب هو في الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل في الكتاب هو في الظاهر والباطن من أئمة الحق"[4]. وهكذا يتبين الانحراف الواقع في هذا التأويل حيث فسر الآية بمعنى باطني باطل مخالف للغة العربية اتباعًا لأهوائهم ومعتقداتهم الفاسدة.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [5].

قال بعضهم: "الغسل عند لقاء كل إمام"[6]. وبهذا استنبط الغسل عند كل إمام من هذه الآية، وهذا مبني على تأويل باطني باطل لا يقره الشرع ولا اللغة العربية.

---

(١)سورة التكوير الآية (١٥).

(٢) ينظر: المهدي في القرآن الصادق الحسيني (٢٥٣)، بيروت (١٩٧٨م)

(٣) سورة الأعراف الآية (٣٣).

(٤) تفسير الميزان للطباطبائي (٩٤/٨) منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت . لبنان.

(٥) سورة الأعراف الآية (٣١).

(٦)المصدر السابق (٩٥/٨).

المطلب الرابع

"تقديم العقل على النقل"

مما لا شك فيه أن العقيدة الإسلامية تقوم على احترام العقل الإنساني وتعتمد عليه في ترسيخها، وقد جاءت آيات تترى في القرآن الكريم ترفع من شأن العقل وتهتم به وتدعو إلى التدبر والتفكر والتأمل من خلاله قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[١]

ومع هذا الاهتمام والتنويه بشأن العقل ومكانته فقد حدَّد الإسلام للعقل مجالاته التي يخوض فيها كي لا يضل، إذ هو محدود الطاقات والقدرات فلا يستطيع إدراك كل الحقائق، وإذا ما حاول الخوض في تلك المجالات تخبط في الظلمات والتبست عليه الأمور وبهذا التزم السلف الصالح – رحمهم الله – حيث عرفوا حدود العقل ومجالاته ولم يعارضوا به النصوص ولم يظهر معارضة النصوص بالقواعد العقلية إلا في القرن الثاني حين بدأت أصول الجهمية قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) ومعلوم أن عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه من يعارض النصوص بالعقليات فإن الخوارج والشيعة حدثوا في آخر خلافة على والمرجئة والقدرية حدثوا في أواخر عصر الصحابة وهؤلاء كانوا ينتحلون النصوص، ويستدلون بها على قولهم، لا يدعون أنهم عندهم عقليات تعارض النصوص، ولكن لما حدثت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم المعارضين للنصوص برأيهم ومع هذا فكانوا قليلين مقموعين في الأمة"[٢].

(١) سورة ص الآية (٢٩).

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/٢٤٤) ق د/ محمد رشاد سالم – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض ط أولى ١٣٩٩هـ.

ومن ثم انبنى على هذا التقديم انحرافات أخـــر كتأويـــل النصـــوص الصحيحة وردها وإنكار ما دلت عليه هذه النصوص من مدلولات[١].

وقد اشتهر المعتزلة بهذا المنهج حتى قال الزمخشري (ت٥٣٨هـــ): "امش في دينك تحت راية السلطان[٢]، ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان فما الأسد المحتجب في عرينه أعز من الرجل المحتجِّ على قرينه، ومـــا العنـــز الجرباء تحت الشمأل البليل[٣] أذل من المقلد عند صاحب الدليل"[٤].

وقد رد العلماء على هذا المذهب بردود كثيرة قال ابـــن أبـــي العـــز الحنفي (ت٧٩٢هـــ): "فالواجب كمال التسليم للرسول – صـــلى الله عليـــه وسلم– والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصـــديق دون أن تعارضـــه بخيال باطل نسميه معقولاً أو نحمله شبهة أو شكًا أو نقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعـــان كمـــا نوحـــد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل فهما توحيـــدان لا نجـــاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول"[٥].

وكل من عارض النقل بالعقل فقد ارتكب عظائم منها: رده لنصوص الأنبياء، وإساءة الظن بالوحي وجعله منا فيا للعقل، وجنايته على العقل برده

---

(١) ينظر مثلا: رد الزمخشري لمعنى حديث "ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان غير مريم وابنها" الذي رواه البخاري في صحيحه (مع الفتح) في أحاديث الأنبياء: باب قوله تعالى "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا" سورة مريم آية (١٦)، فتح الباري (٤٦٩/٦) برقم (٣٤٣١) ومسلم في صحيحه بشرح النووي في ك الفضائل (٩٨/١٥) برقم (٢٣٦٦) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – ينظر الكشاف للزمخشري (٥٥١/١-٥٥٢).

(٢) يسمى الزمخشري العقل السلطان.

(٣) البليل: هي الريح الباردة تجئ في الشتاء ويكون معها ندى. ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٩٣) ط دار الفكر بيروت ط أولى ١٤١٥هـــ.

(٤)أطواق الذهب في المواعظ والخطب للزمخشري (٢٨) ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(٥) ينظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١٦٦) ق أحمد شاكر. مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.

ما يوافق النصوص من المعقول وتكفيرهم أو تبديعهم أو تضليلهم لمن خالفهم[١].

ومن هنا يعمد كثير من العقلانيين[٢]إلى التمسك بنتائج العقول والبحث عن دلائل نصية لها وهنا يقع الانحراف في استنباط دلائل خاطئة م نالقرآن الكريم كما يقومون برد نصوص صحيحة وهو انحراف آخر ولا يزال هذا المذهب – تقديم العقل على النقل – موجودًا إلى هذا اليوم وله أنصاره ومؤيدوه ولذا استمر الانحراف في الاستنباط من النصوص باستمراره فوجدت تفسيرات مخالفة للنصوص الصحيحة وافتقدت كعدم المعارض الراجح، وصحة التفسير، وصحة الاعتقاد ومن أمثلة تقديم العقل على النقل في التفسيرات ما يأتي:

المثال الأول: قال الزمخشري في قصة خروج آدم – عليه السلام – من الجنة بسبب الخطيئة: "فإن قلت: الخطيئة التي أهبط بها آدم إن كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الأنبياء، وإن كانت صغيرة فلم جَرَى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس، والإخراج من الجنة، والإهباط من السماء– كما فُعِلَ بلإبليس – ونسبته إلى الغي والعصيان ونسيان العهد، وعدم العزيمة والحاجة إلى التوبة؟ قلت: ما كانت إلا صغيرة مغمورة بأعمال قلبه، من الإخلاص، والأفكار الصالحة، التي هي أجل الأعمال وأعظم الطاعات وإنما جرى عليه ما جرى تعظيمًا للخطيئة وتفظيعًا لشأنها وتهويلاً ليكون ذلك لطفًا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على أنه أخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة"[٣]

(١)الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (١٠٣٩/٣) ناشر الكتاب دار العاصمة – ق علي محمد الدخيل.

(٢) العقلانيون: هم من يقدمون العقل على النقل ويجعلونه مصدرًا من مصادر الدين ومحكمًا في النصوص. ينظر : الاتجاهات العقلانية المعاصرة للعقل (١٧).

(٣)الكشاف للزمخشري (٢٥٧/١)

ويظهر – والله أعلم– من هذا التفسير تقرير عقيدة خلود أهل الكبائر في النار وعدم دخول الجنة وهو ما تعجب منه الزمخشري وذيَّل به كلامه وجعله من فوائد ما حدث لآدم – عليه السلام – ومن مقاصده.

ولتقديم العقل أثر بين في هذا التفسير وإلا فإن النصوص دلت على دخول العصاة من أهل الإسلام الجنة إما ابتداء وإما بعد دخول النار وحصول العذاب، إلا أن هذه العقيدة قد دل عليها العقل عندهم وسخروا نصوص الوحي لخدمة تلك العقيدة كما هو في هذا المثال.

المثال الثاني: أخذ بعض العقلانيين تحريم تعدد الزوجات من قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾[1] فقال: وأما جواز إبطال هذه العادة: أي عادة تعدد الزوجات فلا ريب فيه، ... ثم قال: لأن شرط التعدد هو التحقق من العدل وهذا الشرط مفقود حتمًا"[2].

وهكذا نجد أن تقديم العقل هنا قد تسبب في هذا الخطأ والانحراف في الاستنباط حيث قدمت نظرة العقل في شأن تعدد الزوجات على النصوص الكثيرة الصحيحة الدالة على جوازه ومن بينها الآية التي استدل بها المستنبط هنا فالمنفي هنافي الآية عدم تحقق العدل بين الزوجات فيالميل القلبي لإحداهن وهذا لا يملكه الزوج.

المثالث الثالث: استنبط بعضهم من قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾[3] أنه يجوز التيمم في حال السفر ولو كان الماء موجودًا بغير عذر، قال الشيخ رشيد رضا في تفسير الآية: "أي ففي هذه الحالات المرض والسفر وفقد الماء عقب الحدث الأصغر الموجب للوضوء، والحدث الأكبر

(١) سورة النساء الآية (١٢٩).

(٢) الأعمال الكاملة للإمام/ محمد عبده لمحمد عمارة (٩٤/٢) ط دار الشروق القاهرة سنة ١٩٩٣م.

(٣) سورة النساء الآية (٤٣).

الموجب للغسل- تيمموا صعيدًا طيبًا"[١] فجعل السفر قسمصا كالمرض وفقد الماء.

وقال الشيخ المراغي (ت ١٣٤٦هـ): "فالمشاهد أن الوضوء والغسل يشقان على المسافر الواجد للماء في هذا الزمان الذي سهلت فيه وسائل السفر في السكك الحديدية والبواخر فكيف تكون المشقة للمسافرين على ظهور الإبل في مفاوز الحجاز وجبالها فأشقُّ ما يشقُ في السفر الغسل والوضوء وإن كان الماء حاضرًا مستغنى عنه"[٢].

وهذا التفسير وهذا الاستنباط من الآية السابقة منحرفاً عن الطريق الصحيح إذ قُدِّمَ العقل على النص الوارد في الصحيح عن عائشة – رضي الله عنها- قالت: "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء – أو بذات الجيش – انقطع عقد لي فأقام رسول الله على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء، فأتى الناسُ إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء" إلى أن قالت : فقام رسول الله حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم[٣].

قال الإمام محمد بن على القصاب (ت بعد ٣٦٠هـ) "في ذكر المرض خصوص – والله أعلم- هو أنه المرض الذي لا يقدر معه على إمساس الماء جوارحه مثل الجرح المخوف من الجدري والحصبة إذا غطيا بدنه وفتحاه وأشباه وذلك دون الحمى وأوجاع الجسد التي لا تكلم"[٤].

(١) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (١١٩/٥) الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) تفسير المراغي (٤٨/٥) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٣) رواه البخاري في الفتح ك/ التيمم قوله تعالى "فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدًا طيبًا" (٤٣١/١) برقم (٣٣٤) ومسلم في صحيحه بشرح النووي في الحيض باب التيمم (٤٩/٣) رقم (٣٦٧).

(٤) ينظر: نكت القرآن للقصاب (٣٠١/١) ق علي التويجري وآخرين دارالقيم – دار ابن عفان ط أولى ٢٠٠٣.

المبحث الثاني

"التفسيرات المنحرفة للقرآن الكريم أثر سيء للقول في التفسير بغير علم"

أكدنا سابقًا أن الجرأة على التفسير بغير علم وعدم تعظيم القول في التفسير، وعدم تقديس آياته سبحانه وتعالى، وعدم الالتزام بأصول وقواعد التفسير كل ذلك له أثر سيء في ظهور التفسيرات الباطلة والمنحرفة للقرآن الكريم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – "والمقصود أن مثل هؤلاء – يريد بعض المؤلفين المنحرفين – اعتقدوا رأيا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة وذلك من جهتين: تارة من العلم بفساد قولهم، وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن إما دليلاً على قلهم أو جوابًا على المعارض لهم"(١).

وقال – رحمه الله– أيضًا مبينًا منهج أهل الضلال والبدع في بيان معاني نصوص القرآن والسنة النبوية: "... يجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعًا لهم فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيهم ويقولون: نحن نفسر القرآن بالعقل واللغة يعنون أنهم يعتقدون معنى بعقلهم ورأيهم ثم يتأولون القرآن عليه بما يمكنهم من التأويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه" (٢).

ونرد على هؤلاء وأمثالهم ممن يزعمون أنهم يقرءون القرآن الكريم قراءة جديدة ويفسرونه تفسيرًا عصريًا وهو لا يتوافق مع أصول التفسير الصحيح وضوابطه بأن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان وبأننا لا تضيق بأي تفسير يتوافق مع روح العصر يمكن أن يخدم القرآن

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (٧٥) بتحقيق/ عدنان زرزور – دراسة الرسالة مكة سنة ١٤١٥هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥٥/١٧) جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم ط دار عالم الكتب ١٤١٢هـ.

والشريعة الإسلامية بشرط أن يراعي فيه حسن العرض والتحليل والأسلوب الجذاب بشرط ألا يصرف إلى معان تجافي النص وتفتقر إلى الدليل وتفتح أبواب الفتنة وتجعله غرضًا لكل ذي هوى أو مرض، وبشرط أن يكون المفسر مؤهلاً لذلك برصيد كافٍ من علوم القرآن، متحرجًا عن أن يقول فيه بالرأي محافظًا على دلالة النص"(١).ومن هنا فإننا وجدنا كثيرًا من السلف – كما بينا سابقًا– كانوا لا يتكلمون في القرآنبرأيهم ويعظمون القول في التفسير بغير علم وذلك تورعًا وخوفًا من عدم الوصول إلى ما كلفوا به من إصابة الحق ولذلك لم يقعوا فيما وقع فيه أهل الأهواء والبدع والآراء الفاسدة في تفسيراتهم المنحرفة التي تصطدم مع أصول التفسير الصحيح وتهدم أصول العقيدة وتضرب النصوص بعضها ببعض وتصطدم بمقاصد الشريعة الإسلامية وقواعد اللغة العرية وتحط من قدر الأنبياء – عليه مالسلام– ... إلخ.

وسنذكر بعض التفسيرات المنحرفة والباطلة من تفسيراتهم والتي يدرك بطلانها كل من له أدنى صلة بالعلم الشرعي واصول التفسير وفهم قواعد العربية وألفاظها.

(أ) من ذلك مانقله ابن قتيبة عن بعض المعتزلة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾(٢) أن معناه: وسع علمه ... وأنه ساق على ذلك شاهدًا لا يعرف وهو قول الشاعر:

ولا يكرسيء علم الله مخلوق

قال ابن قتيبة: "كأنه عندهم: ولا يعلم علم الله مخلوق، والكرسي غير مهموز ويكرسيء مهموز "... ثم بين ابن قتيبة أن الذي دفعهم إلى هذا الاتجاه في فهم اللفظ والخروج به عن معناه أنهم يستوحشون أن يجعلوا الله

(١) ينظر: اتجاهات التفسير في العصر الحديث لمصطفى محمد الحديدي ص٢٤١ بتصرف ط مجمع البحوث الإسلامية – الشركة المصرية للطباعة.

(٢) سورة البقرة آية (٢٥٥).

تعالى كرسيًا أو سريرًا ويجعلون العرش شيئًا آخر ثم دفع هذا بأن العرب لا تعرف من العرش إلا السرير وما عرش من السقف والآبار... وساق على ذلك الأدلة، من القرآن والشعر العربي القديم(١).

(ب) ومما نقله ابن قتيبة أيضًا عن بعض المعتزلة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾(٢) أن معنى غوى: أتخم من أكل الشجرة. ونحن نعرف أن الذي حملهم على هذا التفسير إنما هو الفرار من نسبة الغواية إلى آدم – عليه السلام – وغفلوا عن أن أكل آدم من الشجرة إنما كان عن نسيان كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾(٣) والناسي لا يكون غاويًا بالمعنى الذي فهموه وتحاشوه بهذا التأويل.

ولقد دفع ابن قتيبة هذا الاتجاه في تفسيرهم لكلمة "غوى" وأبطله بالاحتكام إلى أصول اللغة العربية فقال:"إنهم ذهبوا إلى قول العرب: "غوى الفصيل يغوى غوىً" إذا أكثر من شرب اللبن حتى يبشم، وذلك غوى يغوي غيا. وهو من البشم غوى يغوي غوىً"(٤).

(ج) وفي التفسير المنسوب إلى الحسن العسكري عندما يعرض لقوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾(٥) يقول ما نصه: "... الرحيم بعباده المؤمنين من شيعة آل محمد، وسع لهم في التقية(٦)،

(١)ينظر: الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها د/ محمد حسين الذهبي ص٤٤ الناشر مكتبة وهبة – ١٤ شارع الجمهورية – عابدين ط ثالثة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

(٢)سورة طه الآية ١٢١ .

(٣)سورة طه الآية ١١٥.

(٤)ينظر الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن (٤٥).

(٥) سورة البقرة الآية ١٦٣.

(٦) التقية هي من أشهر عقائد وتعاليم الإمامية الاثنى عشرية ومعناها عندهم: المداراة والمصانعة وهي مبدأ أساسي عندهم وجزء من الدين يدعون لإمامهم المختفي ويظهرون الطاعة لصاحب السلطان فإذا قويت شوكتهم أعلنوها ثورة مسلحة في وجه الدولة الظالمة". ينظر: المصدر السابق (٥٥).

يجاهرون بإظهار موالاة أوليـــاء الله، ومعـــاداة أعدائـــه إذا قـــدروا، ويسرونها إذا عجزوا"[١].

وليس يخفي أن هذا الانحراف في التأويل إنما دفع إلى مبدأ التقية الذي تدين به الإمامية. ولست أدري وجهًا لتخصيص ما في الآية من رحمـــة الله تعالى بشيعة آل محمد، ولا لقصر الرحمة – كثرة مظاهرها– علـــى مبـــدأ التقية الذي لا أراه إلا مبدأ سياسيًا، وبابًا من أبواب النفاق والخداع الذي تجل عنه رحمة الله سبحانه وتعالى.

وإذا ما تتبعنا كتب التفسير للإمامية الاثنى عشـــرية وجـــدناها كلهـــا تحتوي على اتجاهات منحرفة في التأويل ووجدنا كثيرًا منها مليئًا بخرافات وأباطيل لا يرها عقل ولا شرع، وكم من لفظ قرآنيحُرِّف عن مدلوله الحقيقي إلى مدلولات لا وجود لها إلا في عقول أصحابها فالجبت والطاغوت حيـــث ورد في القرآن الكريم يؤولونهما بأبي بكر وعمر – رضـــي الله عنهمـــا– والبقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها يؤولونها بعائشـــة – رضـــي الله عنها– والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة نسب بني أمية.

(د) ومما لا ينقضي منه العجب ما ذكره المولى عبد اللطيف الكازراني في: "مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار" عن الحجة القائم أنه سئل عـــن تأويـــل: "كهيعص" فقال: " إن هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عليها عبـــده زكريا ثم فصلها على محمد – صلى الله عليه وسلم– وذلـــك أن زكريـــا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة. فأهبط الله عليه جبريل – عليه السلام – فعلمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمدًا وعليًا وفاطمة والحسن، سرى عنه همه وانجلى كربه. وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة، ووقعـــت عليـــه البهرة، فقال ذات يوم: إلهي... ما بالي إذا ذكرت أربعًا مـــنهم تســـليت بأسمائهم عن همومي؟ وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتـــي؟ فأنبأه تعالى عن قصته، فقال: "كهيعص"، فالكاف: اسم كربلاء، والهاء:

(١) المصدر السابق ص(٦١) نقلاً عن التفسير المنسوب للحسن العسكري ص(٢٣٩).

هلاك العترة، والياء: يزيد لعنة الله وهو ظالم الحسين، والعين: عطشه، والصاد: صبره، فلما سمع زكريا بذلك لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيها الناس من الدخول عليه ..." أ.هـ[1].

وهذا يخالف ما عليه جمهور المفسرين من معاني الحروف المقطعة في أوائل السور، والرمز بالحروف المذكورة فيم طلع سورة مريم إلى ما ذكره الكازراني عن القائم ليس له وجود إلا في عقول غلاة الإمامية الاثنى عشرية بل هو م نالتفسيرات الباطلة المنحرفة من أصحاب البدع والأهواء.

(هـ) ومن القراءات الوتفسيرات المنحرفة في هذا العصر على سبيل المثال: ما ذكره محمد أمين شيخو[2] عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [3]بأن المراد من شجرة الزقوم: لذائذ الدنيا يأخذها الإنسان بشكل سريع... وكلمة "زقوم" من "زق" أي مرَّ... فلذائذ الدنيا تمضي وجميع شهواتها تنقضي بممارستها، ثم وكأنها ما كانت[4].

(و) وذكر أيضًا تأويلاً عجيبًا ومنحرفًا خرج به عن ظاهر الآية ومضمونها في قوله تعالى: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ ﴾[5] معنى "اركض برجلك" أي خرج من بلدك الذي أنت فيه والذي لاقيت ما لاقيت فيه من الضيق المعنوي بسبب المعارضات إلى بلد آخر..."اركض برجلك" أي بلد قريبة من بلده الأصلي ولكن أهل هذه البلدة طيبون ولهم مواصفات حسنة عكس قومه الأصلي..." هذا

(١)الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن ص(٦٢) نقلاً عن: مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للمولى عبد اللطيف الكازراني ص(٢٣٣) مودع بدار الكتب المصرية.

(٢)ولد بدمشق(١٨٩٠-١٩٦٤م) من كتبة "تأويل القرآ ن العظيم...".

(٣) سورة الصافات آية ٦٢.

(٤) كتاب: تأويل القرآن العظيم لمحمد أمين شيخوص(٦٥٣) تحقيق/ عبد القادر يحيى الشهير بالديراني- بموقعه على شبكة الإنترنت.www.amin-sheikho.com

(٥)سورة ص آية٤٢.

مغتسل" هؤلاء سوف يؤمنون وسيدنا أيوب سوف يغسل لهم نفوسهم بالأنوار والتجليات الإلهية.. "بارد" ليس بنفوسهم نار المعصية ولا حرارة الشهوات والآثام "وشراب" هؤلاء نفوسهم مهيئة للتقوى ... حين يشربون عن طريقك من التجلي الإلهي شراب المتقين من المادء الغدق(١).

ومن هذه التأويلات البعيدة والمنحرفة والمخالفة لما ثبت عن السلف والمعارض لمقتضى السياق وقواعد اللغة العربية... وقد تمسك بها أصحاب القراءات المعاصرة وشط بعضهم فزعم أن المفسرين أخطأوا في تفسير بعض الآيات لأن معناها الصحيح من مكتشفات العلم الحديث ومن ذلك:

تفسير بعضهم لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ (٢) بأن المراد بالنفس الواحدة: البروتون، وزوجها: الإلكترون... حيث وجد العلماء أن الكهرباء الموجبة في البروتون والسالبة في الإلكترون وتساويهما تمامًا هما السبب في بقاء الذرة وحفظ توازنها وسكونها لتعادل الكهرباء وأن اختلاف طفيف لا يتصوره العقل يؤدي إلى تحطيم الذرة والوجود... إذا فسبب سكون النفس الواحدة هو زوجها وهذا ما قرره العلم بالنسبة لسكون البروتون والإلكترون... باختلافهما وتساويهما في الكهرباء... (٣)

هذا بعيد ومخالف لما عليه السلف ومعارض لمقتضى السياق، فالذي عليه الجمهور أن المراد بالنفس الواحدة آدم – عليه السلام– وأن المراد بقوله "وخلق منها زوجها" هي حواء – عليها السلام–(٤).

(١) المصدر السابق ص(٦٧٩).

(٢) سورة النساء آية ١.

(٣) ينظر: القرآن والعلم الحديث لعبد الرزاق نوفل (١٥٦-١٥٧) بتصرف –ط دار الكتاب العربي– بيروت – لبنان سنة ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م.

(٤) ينظر: زبدة التفسير من فتح القدير د/ محمد الأشقر ص(٩٧).

المبحث الثالث

"ألسبل الوقائية لدفع ظاهرة الجرأة على التفسير بغير علم"

المطلب الأول

رفع منزلة تفسير القرآن الكريم والهيبة من الإقدام على بيان معانيه بغير علم

لقد أكدنا – في مقدمة هذا البحث – على أن السلف – رحمهم الله– كانوا يتورعون عن القول في التفسير بغير علم ويهابون من الإقدام على بيان معانيه دون علم خوفًا من الخطأ وحمل كلام الله تعالى على غير مراده... واستوفينا الأدلة على ذلك فيما تقدم...

ومن هنا فإنه يجب على المسلمين عامة وعلى طلاب علم التفسير خاصة أن يحذروا أشدَّ الحذر من القول في القرآن بغير علم فإن المتكلم في معاني القرآن إنما يتكلم في بيان مراد الله تعالى بكلامه، فإن تكلم في التفسير بما لا علم له به فقد كذب على الله، وقال عليه ما لا يعلم، وقفًا ما ليس له به علم وهذه ذنوب عظيمة وآثام كبيرة يجرها على نفسه، ويضل بها الناس عن هدى الله وقد اشتد الوعيد.

–كما بينا – على من فعل ذلك قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]

فقرن سبحانه وتعالى القول عليه بغير علم بالشرك والبغي والفواحش.

وقال تعالى أيضًا: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [2] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام"[3].

---

(١) سورة الأعراف آية:٣٣.

(٢)سورة الإسراء آية: ٣٦

(٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (١٠٥).

فالواجب على المسلم في تفسير القرآن أن يشعر نفسه حين يفسر القرآن بأنه مترجم عن الله تعالى شاهد عليه بما أراد من كلامه فيكون معظمها لهذه الشهادة خائفاً من أن يقول على الله بلا علم فيقع فيما حرم الله فَيَخْزَى بذلك يوم القيامة.

بل قال شيخ الإسلام أيضًا في بيان خطورة القول في التفسير بغير علم واتباع أهل الهوى والبدع فيه: "وقد تبين أن مَنْ فسر القرآن أو الحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام"(١).

ومما هو جدير بالذكر هنا أن نؤكد على ما قررناه سالفًا أنه: قد ورد النهي عن القول في القرآن بغير علم والوعيد الشديد على من اجترأ على ذلك ولذلك وضع العلماء شروطًا لمن أراد أن يفسر القرآن ليخرج من هذا الوعيد ويصبح من اهل التفسير والتأويل.

وهذا الوعيد هو ما جعل السلف – رحمهم الله– يتحرجون من القول في التفسير بغير علم ورعًا وخشية لله تعالى حتى قال عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: "لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع"(٢).

وجاء عن إبراهيم النخعي أنه قال: "كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه"(٣).

(١)مجموع الفتاوى (٢٤٣/١٣).

(٢) أخرجه ابن جرير (٧٦/١)

(٣)أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص(٢٢٩) ومراد بالأصحاب: أصحاب ابن مسعود – رضي الله عنه–.

وكم يحز في النفس حين نرى كثيرًا من الناس يجترئون على التفسير بغير علم، ولا يحسبون لذلك حسابًا فلا تتكأ ألأسنتهم، ولا توجف قلوبهم وكأنهم قد أحاطوا بالقرآن علمًا واصبح من مداركهم القريبة ومن معارفهم الدانية، وكم من رجل منهم فسر آية لو عُرضت على أبي بكر – رضي الله عنه– لقال: "أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم" وإن أحدهم ليفسر الآية ولو سمعه عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه– لقرّعه بدرته"[1].

المطلب الثاني

"الوقوف على الشروط التي يجب توفرها في المفسر، وأصحاب القراءات الجديدة للقرآن الكريم"

مما لا شك فيه أن التفسير هومفتاح كنوز القرآن وذخائره التي حواها هذا الكتاب المجيد النازل لإصلاح حال البشرية جميعًا.

وبدون التفسير لا يمكن الوصول إلى هذه الكنوز والذخائر مهما بالغ الناس في ترديد ألفاظ القرآن وتوفروا على قراءته كل يوم ألف مرة على جميع الأوجه التي نزل عليها.

من هنا ندرك سر تأخر المسلمين اليوم رغم توفر المصاحف في أيديهم ووجود ملايين الحفاظ بين ظهرانيهم لأنهم قد اكتفوا من القرآن بألفاظ يرددونها وأنغام يلحنونها في المآتم والمقابر والدور، وبمصاحف يحملونها في العربات والمكاتب والبيوت أو يوزعونها هدايا في المناسبات ونسوا أن بركة القرآن العظمى إنما هي في تدبره وتفهمه، والاستفادة من هديه وآدابه والله تعالى يقول:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2]، وقال عز عن قائل:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [3] وهذا

(١)ينظر: دراسات في علوم القرآن د/ فهد الرومي(١٨٣) بتصرف.

(٢) سورة ص آية ٢٩.

(٣) سورة محمد آية ٢٤.

المعنى هو الذي فهمه مثالية في فترة وجيزة أصبحت مضـــرب مضـــرب الأمثال على مر العصور.

مما سبق يتبين أن علم التفسير أشرف العلوم وأرفعها منزلـــة لســـمو موضوعه، وعظيم فائدته، فإن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، والغرض مـــن الاعتصـــام بـــالعروة الـــوثقى، والوصول إلى السعادة العظمى وهو أصل العلوم بل كل العلـــوم الشـــرعية والمعارف الدينية متوقفة على العلم بكتاب الله ونابعة منه...

ومن هذا المنطلق – فإننا نؤكد على ما ذكرناه سالفًا– وهو أن تفسير القرآن ليس حقًا لكل إنسان كأي علم آخر وقد ضربنا المثل من قبل في ذلك بأن الطب حق لكل إنسان أن يدرسه لكن علاج الناس ليس حقًا لكل إنســـان إلا إذا درس علم الطب وحذقه وبرع فيه وربما ننهر ونزجر من يمارس تلك المهنة وهو ليس أهلاً لها وفي المقابل لا ننهر من يجترئون علـــى تفســـير القرآن الكريم وهم ليسوا من أهل التفسير مما يترتب عليه ضلالهم وضلال غيرهم...

– وهذا ما جعل العلماء يضعون شروطًا لا بد من توفرها فـــيمن تصـــدى لتفسير كتاب الله تعالى قبل الإقدام على تلك المهمة العظيمة، وقد تفاوتت وتعددت عبارات العلماء في حصر هذه الشروط ولكن يمكن تقســـيمها إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: إلمامه بالعلوم والأدوات التي يحتاج إليها المفسر.

ثانيًا: شروط دينية وسلوكية لا بد منها فيمن تعرض لتفسير.

ثالثًا: القدرة الذهنية والعقلية على التفسير والاستنباط.

أولاً: إلمامه بالعلوم والأدوات التي يحتاج إليها المفسر.

لقد اشترط العلماء فيمن أراد تفسير كلام الله تعالى أن يلم بجملة مـــن العلوم وذلك لتحقيق أعلى مراتب التفسير الصحيح، أما المعاني العامة التـــي يستشعر منها المرء عظمة مولاه والتي يفهمها الإنسان عند إطـــلاق اللفـــظ الكريم فهي قدر مشترك بين عامة الناس متيسرة لكل أحد وهو المأمور بـــه

للتدبر والتذكر لأنه سبحانه وتعالى سهله ويسره قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[1] ، وهذه هي أدنى مراتب التفسير أما أعلاها فيحتاج إلى عدة علوم لا بد من توافر العلم بها لمن أراد التفسير وقد ذكرها بعضهم اختصارًا، ومنهم من توسع فيها وسوف نلخصها من كتاب السيوطي- رحمه الله- في الإتقان:

١- علم اللغة: من (نحو وتصريف واشتقاق)، وذلك أن اللغة يعرف بها شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين وكيف يتم فهم حقائق الألفاظ المفردة، والجمل المركبة في القرآن بدون معرفة هذا اللسان؟ ولذا قال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب"[2].... كما أن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتبار علم النحو، وعلم التصريف به تعرف الأبنية والصيغ كما أن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما...

٢- علوم البلاغة: (المعاني، والبيان، والبديع) لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها للمعنى، ويُعرف بالثاني (علم البيان) خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، ويعرف بالثالث (علم البديع) وجوه تحسين الكلام – وأقول: إن هذه العلوم من أعظم أركان المفسر لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز الذي هو من أخص خصائص القرآن وإنما يدرك بهذه العلوم الثلاثة، ولكن مجرد العلم بهذه الفنون وحفظ أحكامها لا يفيد المطلوب بل لا بد أن يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعة وذلك يحصل

(١)سورة القمر آية: ١٧.

(٢) سورة القمر آية: ١٧.

بممارسة الكلام البليغ ومزاولته مع التفطن لنكته ومحاسنه، والعناية بالوقوف على مراد المتكلم فإن العرب كانوا مسددين في النطق بما يوافق القواعد قبل أن توضع ولم يكن ذلك طبيعيًا لهم بل ملكة مكتسبة بالسماع والمحاكاة ولو كان طبيعيًا لما فقدوه باختلاطهم بالأعاجم.

نعم إننا لا نتسامى إلى فهم مراد الله على وجه الكمال والتمام ولكن يمكننا فهم ما نهتدي به بقدر الطاقة البشرية.

٣- كذلك العلم بمدلولات الألفاظ في زمن نزول القرآن، فإن كثيرًا من الألفاظ غلبت عليها مدلولات مغايرة لما كان معروفًا وقت التنزيل فيجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتتبع الاصطلاحات التي حدثت في الملة ليفرق بينها وبين ما ورد في الكتاب فكثيرًا ما يفسر المفسرون كلمات القرآن بالاصطلاحات التي حدثت بعد القرون الثلاثة الأولى، فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعمله في عصر نزوله وإلا وقع في الخطأ، فمثلاً: لفظ التأويل اشتهر بمعنى التفسير مطلقًا أو التفسير على وجه مخصوص ولكنه جاء في القرآن بمعانٍ أخرى كقوله تعالي: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾[١] فهو هنا بمعنى العاقبة وفي قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [٢] فهو بمعنى وقوع المخبر المخبر به. وفي قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾[٣] فإنه يراد به نفس مدلول الرؤيا وقد جاء التأويل بغير هذه المعاني أيضًا.

ومن ذلك: لفظ "ألولي" فإن معناه في القرآن غالبًا: الناصر والموالي.

(١) سورة الأعراف آية: ٥٣.

(٢) سورة يونس آية: ٣٩.

(٣) سورة يوسف آية: ١٠٠.

وقد حدث اصطلاح بعد ذلك على أن "ألولي" هو من تظهر على يده الخوارق في حين أن الصحابة لم تعرف هذا المعنى فهو حادث بعد زمن النزول.

٤- العلم بأسباب النزول، والقصص، والناسخ والمنسوخ ليعام المحكم من غيره، وعلم القراءات لأنه به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض... فهذه العلوم بمثابة المفتاح لعلم التفسير.

٥- أن يكون عالمًا بأصول الدين: وهو علم التوحيد حتى لا يقع في آيات الأسماء والصفات في التشبيه أو التمثيل أو التعطيل، ومن هنا لا بد من الإلمامبعلم أصول الدين بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز عليه تعالى...

٦- أن يكون عالمًا بالحديث رواية ودراية: إذ أن أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم- هي المبينة للقرآن بل قد قال الإمام الشافعي – رحمه الله- تعالى: "كلُّ ما حكم به رسول الله – صلى الله عليه وسلم- فهو مما فهمه من القرآن"(١) وقال الإمام أحمد – رحمه الله تعالى- : "السنة تفسر القرآن وتبينه"(٢).

٧- أن يكون عالمًا بأصول الفقه: إذ به يعرف كيف تستنبط الأحكام من الآيات ويستدل عليها ويعرف الإجمال والتبيين والعموم والخصوص والمطلق والمقيد ودلالة النص وغشارته، ودلالة الأمر والنهي ... وغير ذلك(٣).

(١) مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨٥) تحقيق. د/عدنان زرزور . ط دار القرآن الكريم – الكويت ط أولى ١٣٩١هـ.

(٢)الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٣٩/١) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٩٦٥م.

(٣)أصول التفسير وقواعده لخالد العك ص(١٨٧) ط دار النفائس ط ثانية ١٤٠٦هـ.

٨- علم أحوال البشر فقد أنزل الله هذا الكتاب وجعله آخر الكتب وبين فيه ما لم يبينه في غيره وبين فيه وبين فيه كثيرًا من أحوال الخلق وطبائعه وسننه الإلهية في البشر وقص علينا أحسن القصص عن الأمم وسيرها الموافقة لسنته فيها فلا بد للناظر في هذا الكتاب من النظر في أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم ومناشئ اختلاف أحوالهم من قوة وضعف، وعز وذل وعلم وجهل وإيمان وكفر والعلم بأحوال العالم الكبير علوية وسفلية وهذا يحتاج إلى فنون كثيرة أهمها التاريخ بأنواعه والطبيعة بأنواعها والفلك والاجتماع وجوانب من علم النفس والأخلاق وغيرها...

٩- وزاد بعضهم: العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن فيجب على المفسر القائم بهذا الغرض النبيل أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم لأن القرآن ينادي الناس بأنهم كانوا في شقاء وضلال وأن النبي – صلى الله عليه وسلم- بعث به لهدايتهم وإسعادهم، وكيف يفهم المفسر ما قبحته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة إذا لم يكن عارفًا بأحوالهم وما كانوا عليه؟

١٠- على الموهبة: وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم ... [١] وقد يقال: علم الموهبة ليس في قدرة الإنسان فكيف تحصيله؟ والجواب: أن تحصيله في الأخذ بأسبابه من التقوى والعمل والزهد فقد قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٢] وقال تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾[٣] قال سفيان بن عيينة: يقول: أنزع عنهم فهم القرآن. أخرجه ابن أبي حاتم[٤].

---

(١) راجع ذلك بالتفصيل في : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج٤ (١٨٥-١٨٨) ط مصطفى الحلبي سنة ١٩٣٥م.

(٢)سورة البقرة آية (٢٨٢).

(٣)سورة الأعراف آية (١٤٦).

(٤)المصدر السابق (١٨٨/٤) بالتفصيل.

فهذه العلوم هي التي يحتاجها المفسر إذ هي كالآلة بالنسبة له، ولا يكون مفسرًا إلا بتحصيلها والإجادة فيها لأن القرآن قد تناول هذه المعارف كلها وزيادة على أبلغ وجه وأعجزه فكيف يفسره من لا دراية له بها؟؟

وعليه فمن اشتغل بتفسير كتاب الله يجب أن يكون على أعلى مستوى من الثقافات في الأديان واللغات والأصول والتاريخ وأحوال البشر والأمم والسنن والآثار فضلاً عن التقوى والورع والزهد والله يهدينا سواء السبيل.

ثانيًا: شروط دينية وسلوكية لا بد منها فيمن تعرض للتفسير.

١- الإخلاص: بأن يريد بعمله وجه الله تعالى، وأن يطلب رضاه، ولا يبتغي بذلك جاهًا ولا منصبًا فإن ابتغى غير ذلك ضلَّ وأضلَّ.

٢- سلامة العقيدة: فإن مَنْ انحرفت عقيدته يعتقد رأيًا ثم يحمل ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين[١].

فإذا فسر القرآن أوَّل الآيات التي تخالف مذهبه الباطل وحرَّفها حتى توافق مذهبه، ومثل هذا لا يطلب الحق فكيف يُطلبُ منه؟ ومن هؤلاء فرق الخوارج والروافض والمعتزلة وغلاة الصوفية وغيرهم...

٣- التجرد عن الهوى: فإن الهوى يحمل صاحبه على نصرة مذهبه ولو كان باطلاً ويصرفه عن غيره ولو كان حقًا، وقد قال الزركشي: "واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب أو في قلبه كبر أو هوى أو حب لدنيا أو يكون غير متحقق الإيمان أو ضعيف التحقيق أو معتمدًا على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر أو يكون راجعًا إلى معقوله وهذه كلها حجب وموانع وبعضها آكد من بعض إذا كان العبد مصغيًا إلى كلام ربه ملقي السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه ناظرًا إلى قدرته تاركًا للمعهود من علمه ومعقوله له متبرئًا من

(١) مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص(٨٥).

حوله وقوته معظمًا للمتكلم مفتقرًا إلى التفهم بحال مستقيم وقلب سليم وقوة علم وتمكن سمع لفهم الخطاب وشهادة غيب الجواب بدعاء وتضرع وابتئاس وتمسكن وانتظار للفتح عليه عليه من عند الفتاح العليم. وليستعن على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام وشهادة وصف المتكلم من الوعد بالتشويق والوعيد بالتخويف والإنذار بالتشديد فهذا القارئ أحسن الناس صوتًا بالقرآن وفي مثل هذا قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [1]وهذا هو الراسخ في العلم جعلنا الله من هذا الصنف والله يقول الحق وهو يهدي السبيل"[2]

وبعد هذا يقال: أين أصحاب التفسيرات المنحرفة المعاصرة من هذه الصفات العظيمة التي ذكرها الإمام الزركشي – رحمه الله–؟ لقد اجترأ على تفسير كلام الله تعالى أقوام لم يُعرفوا بعلم ولا ديانة ولا خشية لله تعالى، فالله المستعان!

٤– تحقيق التقوى لله عز وجل:

فإن من امتثل الأمر واجتنب النهي واستحضر الخوف من الله تعالى أجرى الله على لسانه القول الصواب في التفسير وصرف عنه زيغ القلوب قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾[3]

ومن هنا فإن التقوى للمفسر مفتاح كل خير فإنه إذا دعا إلى خير فعليه أن يكون أول المؤدين له حتى يلقى القبول من الناس، وإذا نهى عن أمر وجب أن يكون تاركًا له نابذ إياه فإن الناس إذا رأوه يأمر ولا يفعل، وينهى ولا يمتثل نفروا عنه وعن أقواله وإن كانت حقًا.

---

(١)سورة البقرة آية (١٢١).

(٢)البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٨١/٢) ط دار الكتب العلمية – بيروت ط أولى ١٤٠٨هـ.

(٣) سورة البقرة آية (٢٨٢).

ثالثًا: القدرة الذهنية والعقلية على التفسير والاستنباط: والمقصود بذلك أن يكون عند المفسر قدرة ذهنية وعقلية يستعين بها على الفهم الدقيق واستنباط المعاني والترجيح بين الأقوال والايستدلال الصحيح.

قال أبو عمرو المازني مبيناً صفات المفسر:"... أن يكون جيد القريحة، ذكي الفهم، قوي الفكرة، فإن البليد قد يتقاعد عن فهم ما يبين له، فكيف يستنبط مالم يبين له"(١).

تعقيب:

هذ، وإن المتأمل في حال عامة أصحاب التفسيرات المنحرفة والقراءات الجديدة في تفسير القرآن الكريم يلحظ بجلاء أن معظم هذه الشروط السالفة لا تتوفر فيهم فهم دخلاء على علم التفسير ومتجرئون على كتاب الله تعالى أن يعضهم قد يخطئ الصحابة والتابعين وكبار المفسرين ويقطع بأن مراد الله تعالى في بعض الآيات هو ما توصل إليه هو أو غيره من المعاصرين ولو أن هؤلاء عرضوا ما ظهر لهم من استنباطات والجزم بها لسلموا بزيغها وبطلانها.

والذي نريد أن نقرره هنا ونؤكد عليه: أن تفسير القرآن الكريم ليس كلأ مستباحًا لكل مَنْ هبّ ودبّ دون أن يلم بالعلوم التي يحتاجها المفسر ومن غير أن تتوفر عنده أهلية كافية للنظر والاستنباط وقد وهم بعض أصحاب القراءات المنحرفة والباطلة لكتابالله تعالى وزعموا أن كل مسلم له الحق في تفسير القرآن الكريم بل زعم بعضهم أن غير المسلمين لهم الحق في النظر في الإسلام ودراسته والخوض في تفسير كتاب الله تعالى وأن هذا الأمر ليس حكرًا على أحد أو جهة معينة(٢).

---

(١) مقدمة المباني ص ١٧٤، ضمن كتاب: مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة كتاب المباني – ومقدمة تفسير ابن عطية) اعتنى بها آرثر جفري – مكتبة الخانجي – القاهرة ط أولى ١٩٥٤م.

(٢) ينظر: في ذلك: التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم لمنى الشافعي ص(٣٦٣) ط دار اليسر – القاهرة . ط أولى سنة ١٤٢٩هـ.

- وقد أجاد صاحب- "اتجاهات التفسير في العصر الحديث – في الرد على هؤلاء بقوله: "وليس كل مفكر يستطيع تفسير القرآن. فما لم يكن عظيم المعرفة بنصوص القرآن والسنة، عالمًا باللغة العربية نحوًا وبلاغة، وفقهًا، عالمًا بطريقة استنباط المعاني والأحكام فإنه على خطر شديد إذا أقدم على تفسيره لهذا يجب أن يتحاشاه من ليس من أهله كما يتحاشي المهندس أن يكون طبيبًا والطبيب أن يكون مهندسًا حتى لا يقع كل منهما في خطأ لا يمكن تلافيه..." (١).
- وقد صدق فيما قال – ولم لا؟- والمفسر يوقع بأن هذا التفسير هو مراد الله عز وجل في الآية، فمن هنا ينبغي الحذر ثم الحذر قبل الخوض في التفسير دون علم وأهلية كافية للنظر والاستنباط.

(١) اتجاهات التفسير في العصر الحديث للشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير ص(٢٦٠) ط مجمع البحوث الإسلامية – الشركة المصرية للطباعة.

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث (الجرأة على التفسير بغير علم: خطورتها واثرها في ظهور التفسيرات الباطلة)- نود أن نؤكد على بعض النتائج المهمة – وهي كما يلي:

١- أنه لما كان علم تفسير القرآن الكريم من أجلّ علوم الشريعة وأرفعها قدرًا وحظى بمنزلة عظيمة ومكانة سامية كان القول فيه بغير علم والخوض فيه والجرأة عليه ممن ليس أهلاً له آفة كبيرة وخطر جسيم بل هو من أخطر القضايا التي فشت في زماننا هذا.

٢- أنه قد ساعد على الترويج لتلك التفسيرات الباطلة لكتاب الله تعالى ثورة التقنيات الحديثة ووسائل الاتصالات المتعددة وإساءة الاستخدام لها ببث أقوال مضطربة وباطلة في التفسير من أصحاب الأهواء والبدع والمعتقدات الزائفة.

٣- تعظيم السلف – رحمهم الله – للقول في التفسير وتورعهم عن القول فيه بغير علم والسكون عما لم يبلغه علمهم من معاني القرآن الكريم خشية الوقوع في الخطأ.

٤- أن من أعظم أسباب ظهور التفسيرات الباطلة للقرآن الكريم: الجرأة على القول في التفسير بغير علم مع التغافل عن الوعيد المترتب على ذلك، كذلك تفسير آيات القرآن الكريم وفق المعتقدات الباطلة من أهل البدع والأهواء، وأيضًا: الخطأ في فهم معنى باطن القرآن اتباعًا للأهواء، وأيضًا: الخطأ في فهم معنى باطن القرآن اتباعًا للأهواء الباطل، وتقديم العقل على النقل في بيان المراد من الآية الكريمة.

٥- أن ما يسمى بالتفسيرات الجديدة أو الحداثية يقوم جلها على مجرد الرأي والهوي ومخالفة ما ثبت عن النبي –صلى لاله عليه وسلم- والصحابة والتابعين بل هي مخالفة تمامًا لأصول التفسير ومناهجه.

٦- أنه لا يحق لكائن من كان أن يخوض في التفسير ما لم يكن عظيم المعرفة بنصوص القرآن والسنة، عالمًا باللغة العربية بشتى فروعها

نحوًا، وبلاغة، وتصريفًا، وفقها، وأن يكون على قدم راسخة في استنباط المعاني والأحكام عنده أهلية كافية للنظر والاستدلال.

وبناء على ما تقدم أوصي بالآتي:

(أ) ينبغي رفع منزلة التفسير والهيبة من الإقدام على بيان معاني القرآن بغير علم في نفوس الناس وخاصة طلاب العلم وتريتهم على ذلك.

(ب) التحذير من تفسير كتاب الله تعالى بتفسيرات وقراءات حداثية جديدة مخالفة لما ثبت عن الصحابة والتابعين وأئمة والتفسير.

(ج) ينبغي أن نولي علم أصول التفسير ومناهجه وقواعده اهتمامًا أكبر ونقوم بتعليم وبيان قواعد وضوابط التفسير وشروط المفسر لأبنائنا الطلاب في الجامعات والمدارس بل نقوم ببيان ذلك عبر دروس ولقاءات علمية في المساجد وقاعات العلم للناس جميعًا.

(د) القيام بالرد العلمي المؤصل على أصحاب التفسيرات الباطلة خاصة إذا ما اشتهرت هذه التفسيرات بي نالعامة حتى نبين زيفها...

وختامًا فالله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم وأن يعيننا على خدمة كتابه العظيم والتمسك بنهجه القويم إنه أكرم مسئول، وألإضل مأمول – وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهم المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم
٢-زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ط المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٤هـ . ط ثالثة.
٣-تفسير الطبري. تحقيق/ عبد الله التركي – دار هجر. القاهرة. ط أولى ١٤٢٢هـ+ ط أخرى بتحقيق ا/ أحمد شاكر.
٤-أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطي- ط أولى ١٤٢٦هـ دار عالم الفوائد. مكة.
٥-تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكتاب المنان للشيخ السعدي ط مؤسسة الرسالة.
٦-المحررالوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية – تحقيق/ عبد الله الأنصاري ومجموعة من زملائه – ط وزارة الأوقاف – قطر ط ثانية ١٤٢٨هـ.
٧-تفسير القرطبي ط دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ١٩٦٥م – ط دار الحديث القاهرة د/ محمد الحفناوي و د/ محمود عثمان سنة ١٤٢٣هـ.
٨-تفسير الكشاف للزمخشري ط دار المعرفة – يروت.
٩-تفسير الميزان للطباطبائي منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.
١٠-تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) للشيخ محمد رشيد رضا – الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١١-تفسير المراغي ط الحلبي.
١٢-زبدة التفسير من فتحالقدير د/ محمد الأشقر ط دار المؤيد طبعة ثانية ١٤٢٦هـ.
١٣-البرهان في علوم القرآن للزركشي ق/ مصطفى عبد القادر عطا ط دار الكتب العلينة بيروت ط أولى ١٤٠٨هـ.

١٤-الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ط الثانية ١٣٤٣هـ - المطبعة الأزهرية بمصر + ط الثالثة ١٣٧٠هـ مصطفى البابي الحلبي.
١٥-مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني ط دار إحياء الكتب العربية القاهرة.
١٦-دراسات في علوم القرآن د/ فهد الرومي ط ١٩ سنة ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
١٧-مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ق/ عدنان زرزور ط دار القرآن الكريم - لكويت ط أولى ١٣٩١هـ.
١٨-لسان العرب لابن منظور ق/ عبد الله على الكبير وزملائه ط دار المعارف + ط المكتبة الإسلامية.
١٩-معجم مقاييس اللغة لابن فارس ط دار الكتب العلمية - بيروت ط أولى ١٤٢٠هـ
٢٠-القراءات المعاصرة للقرآن الكريم لمحمد كالو ط أولى ١٤٣٠هـ - دار اليمان. سوريا.
٢١-نظرات في القراءة المعاصرة للقرآن في دول المغرب لمحمد زين العابدين بحث بجامعة شعيب الدكالي - كلية الآداب شعبة الدراسات الإسلامية بالمغرب.
٢٢-أسباب الخطأ في التفسير لطاهر يعقوب ط دار ابن الجوزي - الدمام ط أولى ١٤٢٥هـ.
٢٣-مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديونبد (الهند) رمضان - شوال ١٤٣٧هـ - يونيو - أغسطس ٢٠١٦م. العدد (٩-١٠) السنة (٤٠).
٢٤-مفهوم تجديد الدين البسطامي محمد سعيد دار الدعوة - الكويت - ط أولى ١٤٢٥هـ.
٢٥-الاتجاهات العقلانية لناصر العقل ط دار الفضيلة الرياض ط أولى ١٤٢٢هـ.

٢٦-مجلة الراصد – سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشئون الفرق من منظور أهلالسنة – العدد (٨٩) ذو العقدة ١٤٣١هـ. فرق ومذاهب.
٢٧-الفكر الأصولي واستحالة التأصيل لمحمد أركون (٣٦) ق هاشم صالح دار الساقي للنشر ط٤.
٢٨-مفهوم النص لنصر أبو زيد (١٨) المركز الثقافي العربي – بيروت ط السابعة ٢٠٠٨م.
٢٩-فهم القرآن الحكيم لمحمد عابد الجابري ط مركز دراسات الوحدة العربية.
٣٠-مجلة الفتح الإسلامية لمحب الدين الخطيب العدد٦.
٣١-مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية – ترتيب عبد الرحمن بن قاسم – دار عالم الكتب ١٤١٢هـ.
٣٢-صحيح مسلم – ق/ محمد فؤاد عبد الباقي – المطبعة الإسلامية استانبول.
٣٣-صحيح البخاري- المكتبة الإسلامية – استانبول تركيا ١٩٧٦م.
٣٤-مسند أحمد – مؤسسة الرسالة ق/ شعيب الأرناؤوط + ط دار الفكر بيروت.
٣٥-زوائد ابن ماجة – مكتبة دار الباز – مكة ط أولى ١٤١٤هـ.
٣٦-صحيح الترغيب للألباني ط المكتب الإسلامي ١٤٠٦هـ.
٣٧-إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين لابن القيم ط دار الجيل- بيروت.
٣٨-الجامع الصحيح سنن الترمذي ق أ/ أحمد شاكر توزيع دار الباز – مكة.
٣٩-سنن أبي داود تعليق/ عزت الدعاس ط دار الحديث. ط أولى ١٣٨٩هـ.
٤٠-ضعيف الترمذي ط المكتب الإسلامي – بيروت- تأليف الشيخ الألباني.
٤١-التبيان للنووي ق أ/ محمد عرقسوسي مؤسسة الرسالة ط أولى ١٤٢٥هـ.

٤٢-سنن الترمذي ق/ كمال يوسف الحوت ط أولى دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ.
٤٣-الاعتصام للشاطبي تعليق محمود طعمة حلبي ط أولى دار المعرفة سنة ١٤١٨هـ.
٤٤-منار الهدى في النص على إمامة الأئمة الاثنى عشر لعلي البحراني ق/ السيد الخطيب ط أولى ١٩٨٥م نشر دار المنتظر للطباعة والنشر- بيروت لبنان.
٤٥-تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ط دار النهضة الحديثة.د.ت
٤٦-مدارج السالكين لاب نالقيم ق/ محمد المعتصم بالله البغدادي ط أولى دار النفائس ودار الكتاب العربي ١٤١٠هـ.
٤٧-الأقوال الشاذة في التفسير للدهش – من إصدارات مجلة الحكمة – ط أولى ١٤٢٥هـ د/ عبد الرحمن بن صالح بن سليمان الدهش.
٤٨-الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي ق/ عبد الله محمد الصديق الغماري مطابع دار الكتاب العربي- المكتبة الوقفية – طبع بنفقة السيد/ أسعد درابزوني الحسيني.
٤٩-الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآ د/ عدنان زرزور / مؤسسة الرسالة ط أولى.
٥٠-أسباب اختلاف المفسرين د/ محمد الشايع مكتبة العبيكان ط أولى سنة ١٤١٦هـ الرياض.
٥١-الرسالة للشافعي ط دار الكتب العلمية بيروت ق أ/ أحمد شاكر.
٥٢-فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ط دار الكتب العلمية – بيروت ق/ وهبي غاوجي ط أولى ١٤٢٦هـ.
٥٣-النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ق/ محمود الطناحي – المكتبة الإسلامية.
٥٤-الموافقات للشاطبي ط دار المعرفة – بيروت.

٥٥-المهدي في القرآن لصادق الحسيني – بيروت ١٩٧٨م.
٥٦-درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ق د/ محمد رشاد سالم – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض ط أولى ١٣٩٩هـ.
٥٧-أطواق الذهب في المواعظ والخطب للزمخشري ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٥٨-شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ق/ أحمد شاكر مكتبة الرياض الحديثة.
٥٩-الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ناشر الكتاب دار العاصمة. ق/ على محمد الدخيل.
٦٠-الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده تأليف د/ محمد عمارة ط دار الشروق القاهرة.
٦١-نكت القرآن للقصاب ق/ على التويجري وآخرون دارالقيم – دار ابن عفان ط أولى ٢٠٠٣م.
٦٢-مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم ط دار عالم الكتب – ١٤١٢هـ.
٦٣-اتجاهات التفسير في العصر الحديث لمصطفى محمد الحديدي ط مجمع البحوث الإسلامية – الشركة المصرية للطباعة.
٦٤-الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها د/ محمد حسين الذهبي الناشر مكتبة وهبة١٤٠ شارع الجمهورية عابدين ط ثالثة ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.
٦٥-مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للمولى عبد اللطيف الكازراني مودع بدار الكتب المصرية.
٦٦-تأويل القرآن العظيم لمحمد أمين شيخو تحقيق/ عبد القادر يحيى الشهير باللديراني – بموقعه على شبكة الإنترنت www.amim-sheikho.com

٦٧-القرآن والعلم الحديث لعبد الرازق نوفل ط دار الكتاب العربي -بيروت لبنان سنة ١٤٠٤ه- ١٩٨٤م.
٦٨-أصول التفسير وقواعده لخالد العك ط دار النفائس ط ثانية ١٤٠٦هـ.
٦٩-مقدمة المباني ضمن كتاب: مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة المباني - مقدمة تفسير ابن عطية) اعتنى بها آرثر جفري - مكتبة الخانجي - القاهرة ط أولى ١٩٥٤م.
٧٠-التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم لمنى الشافعي ط دار اليسر - القاهرة ط أولى سنة ١٤٢٩هـ.

ثالثاً :
الحديث وعلومه